

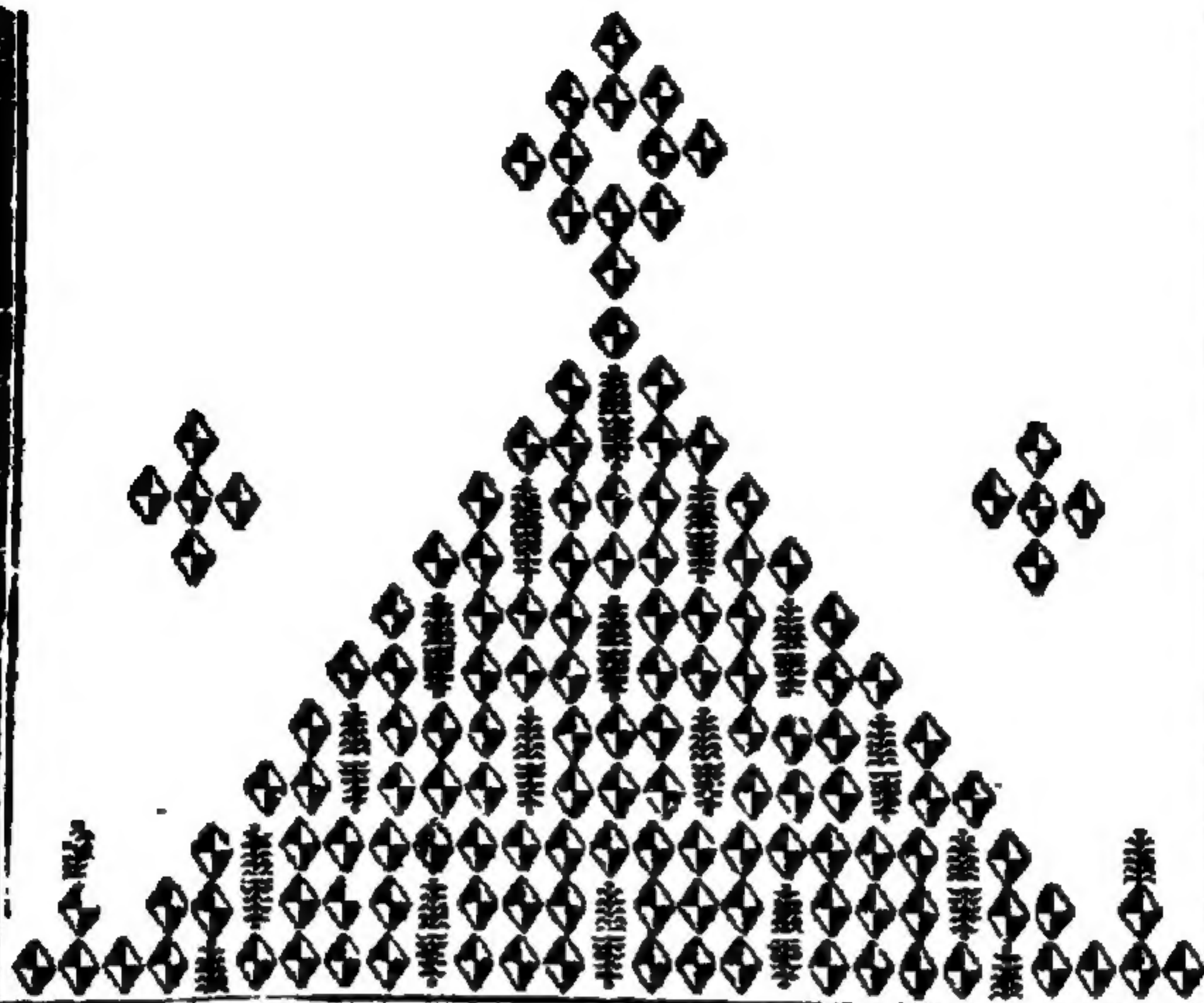


المناقب الابراهيميه
والماثر الخديويه

تأليف عزتلا واسكندر بك ابكار يونس

بمعاونة جناب الهمام الماجد * من اتصف بالكلام
والحماد * عزتلا ومحمد افندي مكاوي المحترم * عفى الله عنهم واودام
لهم العز والنعم

انفاذ طبعه بمحطة لا من جناب محمد افندي المشار اليه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * الذي أحيا ذكرا الأولين * بأقلام الرّخين
وجعل سير الملوك والسيلاطين * تذكارا للمتأخرين * على مدى
الأيام والسنين * والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين *
(وبعد) فيقول العبد الضعيف * صاحب هذا التأليف * أنه إذا
كانت الحوادث المصيرية * المتعلقة بالعمالة المحمدية العلوية * في
مصر واقطار سور به * لم تجتمع قبل الآن * في كتاب ولا ديوان *
شخص * الذي ألفه الجبرتي واشتهر في هذا العصر

جردت نفسي لالتقاط اخبارها * وجمعت من محاسنها ونواديرها
 * كل مراقب وطاب * واودعتها هذا الكتاب * واضفت اليه
 وقائع المرحوم المبرور * صاحب الفضل المشهور * والصيت الحميد
 المشكور * البطل الهمام * وعلم الاعلام * الرفيع المقام * وزينة
 الليالي والايام * من ذات لديه ليوث الآجام * وخضعت له فرسان
 المعارك والصدام * ابراهيم باشا فخر الانام * وسائر وقائعه في بر
 الترك وقطر الشام * ومارأت الناس منه من البطش والاقدام *
 والحلم وعدالة الاحكام * والحكمة والسياسة * والنباهة والفراسة
 والمهابة والكرامة * والعفة والاستقامة * والرقعة والوداع *
 والفصاحة والبراعة * والجود والكرم * وعلو الهمم * والطاقة
 الذات * ومحاسن الصفات * الى غير ذلك مما يستحق الاعتبار *
 بوقت بن بيه صدور الاسفار * فحاء بحمده تعالى كتابا نفيسا جليلا
 وتاريخا مفيدا جليلا * يلتذ عطا لعتة القاري والسامع * وياخذ
 بجامع القلوب والسماع * نظرا الى ما تضمنه من لطائف الاخبار
 وما حواه من براءة السجع ومحاسن الاشعار * ولما تموا كتبت
 على طبق الامل (بحمته المتعاقب الابراهيمي * والمآثر الخديوية)
 وقسمته الى عدة أبواب * ضمنها فخرى الكتاب * وكان ذلك بعد
 جناب الاديب البارع * والبدر المنير الساطع * من باهي و
 رشاع فضله واشهر * فريد العصر * والخمود بالستة أه

أعني به الفاضل اللوذعي * والسكامل الالهي * معدن الجود والكرم
 ورب السيف والقلم * عزتو محمد أفندي مكاوي المحترم * فانه
 أعانني في وضعه وترتيبه * وبذل الجهد البليغ في تنقيحه وتهذيبه *
 حفظه الاله المتعال * بمزيد العز والاقبال * على مدى الايام
 والاحيان

(الباب الاول)

في أوصاف صاحب الهمة العلية * والمآثر الباهرة

الشفية * محمد علي باشا وولايته على الديار المصرية

(الباب الثاني)

في وصف نخلة الكريم * سمى الخليل ابراهيم

(الباب الثالث)

في سير ابراهيم باشا بالعساكر الجهادية لمغالبة الديار الشامية

(الباب الرابع)

في حصار مدينة عكا وفتح أسس كل عربستان *

واستيلاء ابراهيم باشا على جبل لبنان

(الباب الخامس)

في هدم ابراهيم باشا وقلاعها المتينة

* (الباب السادس) *

في مسير ابراهيم باشا البطل الهمام * بليوت الآجام *
 وقرمان الصدام * لا خدم مدينة دمشق الشام

* (الباب السابع) *

في خروج حسين باشا من القسطنطينية * بالجيش
 السلطانية * والمهجمات الحربية * لمحاربة العساكر
 المصرية * ووصوله الى عر بستان وانهرزاه في واقعة حمص وبيلان

* (الباب الثامن) *

حرب قونية

* (الباب التاسع) *

في عقد الصلح مع الدولة العلية * والحكومة
 المصرية ورجوع ابراهيم باشا الى سور به

* (الباب العاشر) *

في ذكر من قدم على ابراهيم باشا من شعراء العصر
 وقدم له المدايح والتهاني في نوال هذا النهر

* (الباب الحادي عشر) *

في ذكر ما اجراه ابراهيم باشا في بر الشام * من الترتيب

والنظام * وما اتفق لحضرته في بيروت * مع رجل من ذوى البيوت *
وحسن معاملته أسيدى المرحوم الوالد كفاني الله شر العدو والحاسد

* (الباب الثانى عشر) *

في تمر ددروز حوران * وانقيادهم الى المطاعة بعد العصيان

* (الباب الثالث عشر) *

حرب ترب

* (الباب الرابع عشر) *

في خروج الحكومة المصرية * من بلاد سورية * بعد حروب
هائلة قوية * وانه قال محمد على باشا و ابراهيم باشا الى رحمة رب البرية

* (الباب الخامس عشر) *

في ما اثر حضرة الامير المكرم * والذرة اليتيم * ذات

الافضال العميم * والآراء الصائبة المستقيمة * قرية ابراهيم
باشا الفخيم * وجددة جنابولى النعم * مولانا توفيق باشا الخديو
المعظم * أيد الله مجدها وتوفيقها * وجعل السعد خادما ورفيقها

* (الباب السادس عشر) *

في ولاية حضرة عباس باشا وهو الخديو الثالث * وذكر

بما جرى في أيامه من الوقائع والحوادث

* (الباب السابع عشر) *

ذكر ولاية حضرة محمد سعيد باشا الخديو الرابع *
وما اجراه في الديار المصرية من الاصلاحات ذات الفوائد والمنافع

* (الباب الثامن عشر) *

ذكر ولاية حضرة اسماعيل باشا العظيم الشأن * نجل
المرحوم المبرور ابراهيم باشا ساكن الجنان

* (الباب التاسع عشر) *

ذكر ولاية حضرة مولى الموالى * وما حب القدر العالى
محمد توفيق باشا الخديو الحالى * اطال الله أيامه بالعز
والاقبال * على مدى الدهور والاجيال

* (الباب العشرون) *

ذكر الامراء المصريين * ارباب المناصب السنية
اقول وهذه الابواب * هي خلاصة مضمون هذا الكتاب * وقد

ذكرت فيها أهم الحوادث المتعلقة بكل باب

* (الباب الاول) *

في أوصاف صاحب الهمة العلية * والمآثر الباهرة
السنية * محمد على باشا وولايته على الديار المصرية

وكانت الديار المأمن به * في زمن الممالك الجارية * وهي الحكومة
 الكورانية * عديمة الانتظام * من جور الولاة والحكام * الذين
 استولوا على البلاد * واضروا بالعباد * فاندثرت مباني علومها *
 واندرست معالم رسومها * من كثرة المظالم * والضرائب والمغارم
 * التي لا يستوفيهما قلم كاتب * ولا يحصيها رقم حاسب *
 وما زالت في انحطاط واختلال * الى ان خرجت من تلك الحال *
 وبلغت الى أعلى درجة من التمدن والكمال * في أيام حضرة
 الخديو المعظم * والداوري المكرم المفعم * انموذج الفخر والجاه *
 محمد علي باشا طاب ثراه * الذي لم يوجد الزمان مثله * ولم يحال أحد
 فضله *
 شعر

عزيزهما في مجده وصفاته * له فوق هام الفرقدين منازل
 به تفخر الايام والمجد والعلا * وكل مديح لم يكن فيه باطل
 وكان مولدهذا البطل الهمام * والبيت الباسل الضرعام * بمدينة
 قوله من بلاد الارناؤوط * وهي مدينة شهيرة في تلك الحدود
 والخطوط * وذلك سنة ألف ومائة وثلاث وثمانين هجرية * الموافقة
 سنة ألف وسبعمائة وتسع وستين مسيحية * ومات أبوه وهو صغير *
 فتوكل به أحد الذوات المشاهير * وكان بينه وبين أبيه محبة * ومودة
 قديمة ومحبة * فاعتنى به ورأاه * واحسن اليه وداراه * وكان عنده
 كالولد المحبوب * وأعز من يوسف عند يعقوب * فتشأ شابا نجيبا *

حازها أدبيا * شجاعا مهيبا * لا يقدر العوائب * ولا يخشى حلول
 النوائب * وكان يصاحب الأبطال * و يلقى نفسه في الأخطار
 والأهوال * أملا بالارتقاء وبلوغ الآمال * ولقد أجاد من قال
 بقدر الكثرة تنكب المعالي * ومن طلب العلاء سهر الليالي
 ومن طلب العلى من غير كد * أضاع العمر في طلب المحال
 وما زال على تلك الحال * ونجمه في سعة ودواقبال * حتى تغلبت
 القرصاويه * على الديار المصرية * سنة ١٧٩٨ م هـ *
 في زمن حضرة ساكن الجنان * السلطان سليم خان * فلما أخذوا
 بزمامها * واستقلوا بتدبير أحكامها * أرسل السلطان سليم *
 الأوامر والمراسم * إلى ولاية الأقاليم * يحثهم بالنهوض والقيام *
 والمبادرة لقتال الأعداء * ونودي بالنفير العام * في بلاد الإسلام
 * فهاجت الشهبان * في كل جهة ومكان * واجتمع في قطر الشام *
 لهذا القصد والمرام * عالم لا يحصى ولا يرام * غيرة لنصرة الدين *
 وطرد عساكر الفرنساويين * فمصدوا مصر القاهرة * امتثالا
 للأوامر الصادرة * وكانت الدولة الانكليزية * قد اتحدت مع
 الدولة العثمانية * لمحاربة الجيوش الفرنسية * وأخرجهم
 من الديار المصرية * بالقوة البحرية * وأرسلت عمارة بحرية *
 إلى بوغاز الاسكندرية * مشحونة بالعساكر والمهمات الحربية *
 فكتب حضرة السلطان * إلى ولاية أسياكل عربستان * يعلمهم

بذلك الاتحاد * ويحترضهم على الحرب والجهاد * وأنه مهم ما أمر
عليه من قباطين الانكاز * الراسين بالراكب على الثغور
والبواغيز * يقدمون اهم الاكرام * وفريد الوقار والاحترام *
وهذا مضمون الكتابة المصادرة * المؤرخة في ٩ جمادى الآخرة
سنة ١٢١٣ بعد الالف

انه لا يخفى عليكم ان الجيوش الفرنسية * قد هجموا على الديار
المصرية * ودخلوا مصر القاهرة وما يليها * واستولوا على
بافاوغز * والرملة ونواحيها * ومرادهم ان يبيدوا امة
الاسلام * ويتغلبوا على المملكة بالتام * والآن حضرة المحب
المعظم * سلطان الانكاز المفخم * المتحلم عنا باخلاص
الطويه * على قتال الطائفة الفرنسية * لفرط محبته *
ووفور مودته * قد تكرم وجاهد * وقضى حق الوداد * وسير من
لبن حضرة الملوكة * عمارة انكازيه * مع العمارة العثمانية
* تحت لواء افتخار الامراء الكرام في الطائفة المحيية
* وعظيم الكبرياء الفخام في الامة العيسويه * جناب محبنا
المحترم * الساروايم سدي سميت الاكرم * وقد قوضناه
التفويض التام * لاجل هذا القصد والمرام * ليدبر امور تلك
الديار * بحسن السياسة والاختيار * فلم يعلم كل منكم
تفويض محبته من لدنا في سائر الاقطار * ومهم ما أمر عليكم من

مراكبه واتباعه فقدموا لهم خريدا لاعتبار * والاشكر ايام والوقار *
 وليكن معلوم الخاص والعام * صدقاته مع الاسلام * واتحاده
 معهم على حرب الفرنساوية الاخصام * اعلموا ذلك واعمدوه غايه
 الاعتماد والسلام

وكان محمد علي * صاحب الخاش القوي * قد منح من فضة الاسود *
 واتحد مع شجعان ذلك البلد * وانضم وامن ذلك الجيش العرمرم *
 وساروا الى مصر بعبيدة الصدر الاعظم * فخارب في تلك الوقائع *
 واشتهر بالشجاعة في هاتيك المعامع * وامتاز على الاقران *
 وانتظم في سلك الفرسان * وفي مدة قصيره * وأيام يسيره * انتشر
 ذكره * وشاع أمره * وصار ذا كفاة فائدة * عند الاعيان والجهابذة
 واكابر الاشراف والاساتذة * واستمرت الحروب بين الفرنساوية *
 والدولة العثمانية والانكليزية * مدة مديدة * وجرى بينهم
 وقائع عديدة * الى ان آل الامر * الى خروج الفرنساوية من مصر
 تحت شروط معلومة * وروابط مفهومة * وكان الصدر الاعظم
 قد أنعم وجاد * قبل رحيله من تلك البلاد * على محمد خير وباشا
 بولاية الدار المصرية * وأمره ان يرفق بالرعية * ويحعل مركزه في
 القلعة السلطانية * حسب الايام السالفة * بدون مناصة ولا
 مخافة * وما زال محمد علي يتقدم في المراتب * ويرتقي في الوظائف
 والمناصب * حتى صار في رتبة علييه * ومنزلة رفيعة سنية * وكان قد

بهم العزم * واخذ بالداد والخرم * على ان يعبد بآلهه لا قبض على
 زمام الملك * وينظم الاحكام على أحسن سلك * فأخذ يتفق الاموال
 * على الفرسان والابطال * ويستجاب خواطر الناس * أهلى
 الشوك والبأس * ويستميلهم اليه باللطف والايثار * حتى
 استعبدتهم بطيب الخلق * وحسن السريرة واللين والرقى * فكانوا
 يحبونهم ويكرمونه * ويميلون اليه ويحترمونهم * ويتمنون له النجاح
 وبلوغ الارب * والارتقاء الى أعلى درجات الرتب * وكانت شوكة
 محاليل الغز * قد انكسرت بعد ذلك الاقتدار والعزم * لانهم كانوا
 في سالف العصر * قبل دخول الفرنساريه الى مصر * اصحاب
 النهى والامر * وبأيديهم مقاليد الامور * ونظام الجمهور *
 ومحافظة الحدود والثغور * وكانت الناس تنابهم مهابة عظيمة *
 نظر الشوكتهم القوية وسطوتهم الجسيمة * لاسيما في زمن أميرهم
 الشهير * المدعو على بك الكبير * فانه كان قد أظهر العصيان *
 وخلع طاعة السلطان * وضرب باسمه السكة * ونفى وزير الدولة الى
 مكة * وتسلم زمام القلعة * والبس الوجاقات السبعة * واستبد
 بتدبير الاحكام * واطاعه الخالص والعام * وصفا له الوقت وراق *
 وانتشر صيته في الآفاق * وحدثته نفسه ان يسطو على الشام
 والعراق * ويعيد الى مصر دار السلطنة * كما كانت في سالف
 الزمنية * وكان له من ريد الفخر والاعتبار * في تلك الديار * حتى

كان يخطب له يوم الجمعة على المنابر * ولم يكن للدولة من حكم مصر
 في أيامه إلا مجرد الاسم الظاهر * ولم ياصفت للدولة العلمانية *
 أحكام الديار المصرية * بعد رحيل الفرنساويين * صدر أمرها
 العالي * إلى محمد خسر و باشا الوالي * أن يبادر في الحال * بالجنود
 والابطال * إلى قتال المماليك المذكورين * والفجيرة المعتدين *
 ويضع السيف فيهم * ويلاشيمهم عن بكرة أبيهم * حتى تنطفي
 أخبارهم * وتنفى آثارهم * وكان بينهم قائدان * وهما من أكابر
 الأعيان * قد اشتهرا بالشجاعة وقوة الجنان * أحدهما يدعى
 عثمان بك البرديسي * والآخر محمد بك الألفي * فلما اتصل بهما هذا
 الخبر * وكان قد شاع واشتهر * أخذ في الاستعداد * للدفاع
 والجلاد * فجمعوا الأحلاف والأحزاب * وانحاز إليهما الأعوان
 والأصحاب * حتى صار في جم غفيرة * وعدد كثير * ونهضا مقاومة
 الوزير * وكان الباشا قد جهز لقتالهما جيشا عرمرما * وتقدم
 عليه قائداه جليلاهما * فاستظهرا عليه وكسراه * وهزماه جيشه
 وفرقاه * وكان محمد علي الأسد الغضنفر * من جملة ضباط العسكر
 * تحت رئاسة القائد الأكبر * فاستشاط القائد حنقا وغضبا *
 واتهم محمد علي بأنه كان لتلك الكسرة سببا * ثم وقعت بينهما
 المنافرة * وأدت إلى الخصام والمشاجرة * وكان ذلك القائد يدعى
 الطمع في الاستيلاء على تحت القاهرة * فاجتمع بالوالي * في بعض

اللامالي * وعندا مكان القرصه * قص عليه تلك القصة * قائلا ان فلانا
 قد اتخذ له أخزنا وواعوانا * وهو كل يوم في همة وحركة * وقصده
 استخلاص المال من يده * وما زال يقدح في حقه بزيادة شتمه * و يمزق
 ستر حرمة بتخالب ذمه * حتى أوغر صدره عليه * واستدعاه ليلا اليه
 وكان قد صمم النية * علي ان يلقيه في أثر النية * وبلغ محمد علي
 الخبر * فأخذ لنفسه الحذر * وحاول تلك الليلة ولم يحضر * وفي اليوم
 الثاني * لم يمكنه التواني * فنهض بالعجل * خوفا من حلول الاجل
 * وانجاز اليه كل شجاع وبطل * واذ ضم الى جماعة المماليك
 الجريه * واتحد مع عثمان بك وعصبة القويه * وجاهر الوالي
 بالعصيان * واستعان بمن تعصب معه من الشجعان * فبادر الباشا
 لقتاله * بجنوده ورجاله * فلقاه محمد علي بإبطاله * واسوده
 وأشباهه * فأعانه الله ونصره * وقبض عليه وأسره * وأسر جيشه
 وعسكره * وكانت هذه الكسرة والنصره * في سنة ألف ومائتين
 وثمانين عشرة * من سني الهجرة * ولما بلغت هذه الحوادث *
 مسامع السلطان سليم الثالث * عظم عليه ذلك الامر * وأرسل علي
 باشا الجزايري الى مصر * ليحلب مكان محمد خسر و باشا * ويقبض
 علي العصاة و يتصرف بقصاصهم كيفما شا * وعند وصوله الي
 هناك * أخذ يحتال علي المماليك والارناؤط ليلقيهم في شرك
 الهلاك * فباع طاعته وخذلوه * ثم حاربوه وقتلوه * وبعد ذلك

بأيام * وقع النزاع والخصام * بين محمد بك الالقي * وعثمان بك
 البرديسي * رغبة في السياسة * وطمعاً بنوال الرياسة * فعادى
 بعضهم أعضا * وازداد احسداً و بغضا * وكان لعسكر الارتاوط
 حال مكسور * عند عثمان بك المذكور * منذ ثمانية شهور * قلما
 رأوا ضعف حاله * وقلة أنصاره ورجاله * طال أبوهم بالرواتب
 والجوامك * وشددوا عليه في ذلك * باتفاق محمد علي ليت المعارك *
 واذ لم يكن له قدرة على مقاومتهم * ولا طاقة في دفع مصادمتهم *
 اضطره الحال ان يوزع المال * على أكبر البلاد * ليرضى العساكر
 والقواد * فلم يجيبوه الى طلبه * ولم يكثر أحديه * ولما خاب أمره
 * وضائق حيله * انحصر في داره * في جماعة من انصاره *
 فوفدت عليه العساكر والاغوات * وأحاطوا بقصره من جميع
 الجهات * في طلب الرواتب والنفقات * وكذلك فعلوا بغيره من
 البكوات * وأكابر المال بك أرباب الولايات * وبقى عثمان بك
 في منزله بضعة أيام * وهم يترددون اليه بالتمديد وطلب
 الانتقام * الى ان ساعدته الضرر * فقر من أيديهم كما يقر
 العصفور من القفص * وقصد بلاد الصعيد * وانكسر عزمه
 الشديد * واذ كن محمد علي قد حصل على صداقة العلماء ومحبة
 الأهل * ارتقى به هذه الوساطة الى ان يكون هو الوالي * وفي أثناء
 ذلك اجتمعت الاكابر العمد * وأقاموا محمد علي قائم مقاماً على

البلاد * وأرسلوا محمد خسر وباشا الى القسطنطينية * وولوا مكانه
 رشيد باشا محافظ الاسكندرية * ولقبوه نائب الحضرة السلطانية
 * على اديار مصر * ولم يعض الا زمن يسير بعد هذه الحركة *
 حتى توفي عثمان بك ومحمد بك وصفت لمحمد علي ولاية المملكة *
 ولما بلغ مسامع حضرة السلطان هذا الخبر * أخذوا القلق
 والصبر * وزاد به الغم والكدر * وأمر مصطفى باشا باش
 قبطان * ان يسير الى مصر من غير توان * ويدار بك بحسن
 التدبير والاهتمام * ما اختل هناك من النظام * وأصحبه بفرمان
 * الى محمد علي باشا العظيم الشأن * يأمره بالتوجه الى ولاية
 سالونيك * وان يصير تسليم مصر الى اكبر المماليك * بشرط
 ان يدفعوا في كل سنة * خمسة آلاف كيس الى خزينة السلطنة
 * فأجاب وامتل * وسار على عجل * بجند كافيه * وسفن حربية
 وافيه * وعند وصوله الى مصر * شرع في ذلك الامر * فلم تقبل
 ذلك اكابر البلاد * ورؤساء العساكر والقواد * وتوجه منهم
 العلماء والاعيان * وأكابر العمد والاركان * وقصدوا ذلك الوزير
 المشار اليه * فدخلوا وسلموا عليه ومشوا بين يديه * فالتقاهم
 بالمشاشة والترحاب * وآذنه بالحديث والخطاب * وجاراهم
 بالسؤال والجواب * فقالوا له بصدق لسان * اننا عبيد الله ورعايا
 السلطان * ومنه ما برزت به الاوامر الشريفة * والمراسيم السامية

المنفعة * نتلقاه بالقبول والامتثال * ونسلك بموجبه في الحال * الا
 في هذا الامر القطيع * فاننا لا نسمع ولا نطبع * لانه كالا يخفى على
 معاليك * ان جماعة المماليك * هم مصدر الظلم والفساد * في هذه
 البلاد * وقد اهلكتوا بحورهم العباد * فلا يوجد بينهم من يصلح
 للرياسة * ولا من يعتمد عليه في الاحكام والسياسة * ثم أخذوا
 يشنون * على محمد علي ويطعنون * في تصفونه بالقضائل * وحسن
 الثمائل * وانهم لا يقبلون والباغية على الاطلاق * نظر المواقف
 من الملباة والاستحقاق * وعلو الهمة ومكارم الاخلاق * فلما رأى
 شدة ميلهم اليه * واعتمد ادهم دون غيره عليه * أجابهم الى
 مطالوبهم * ولبي دعوتهم كمرغوبهم * وانهى فيه الى الباب
 العالى * حسب التماس الاهالي * فصدرت الاوامر السنية *
 والارادة السلطانية * من ديوان القسطنطينية * بتقريره على
 ولاية الديار المصرية * وذلك سنة الف ومائتين وتسع عشرة هجرية
 ولما تمكنت دولته * وامتدت صولته * واستقرت له الولاية * وبلغ
 القصد والغاية * بددولة المماليك لراحة العباد * وسعى في اصلاح
 البلاد * بعد ذلك الفساد * فهدت غورها وامصارها * وأمن سبلها
 واقطارها * وأبطل ما كان فيها من المظالم * وقمع شوكة كل باغ
 وظالم * وأصلح الاحكام والقضايا * وجعل التسوية بين الرعايا *
 ورتب فيها التعليمات العسكرية * وبنى الترمخانات البحرية *

والسفن الحربية وأسس فيها المدارس والمطابع * ووجدما كان
 مندرسا من الفنون والصنائع * وصيرها وطن الآداب والمعارف
 * وكعبة يجي إليها نفائس التحف والطائف * فابتهجت بطلعته
 أقطار البلاد * وقربت به أعين العباد * شعر
 فقرت به عين الأنام مسرة * وكل غدا يبدى الثناء له جهورا
 فدار أفع كفا وذا باسطيدا * وذا ناشر حمد أو ذا ساجد شكرا
 وبالحقبة ان هذا العزيز * يستحق ان تسطر مناقبه بالذهب
 الأبريز * لتخليد ذكره في تلك الديار * على طول الدهور والأعصار
 حسب ما جرت به عادة الملوك الكبار * أصحاب الشوك والاقطار *
 الذين طار صيتهم في الاقطار * وفتحوا المدن والأعصار * لانه
 لم يكن دون الاسكندر الكبير * أوسى يزوس تريس الشهير * في
 الشرف والفخار * ورفعة المقام والاعتبار * ولا في الفضائل
 وكثرة الآثار * لان هذين الملكين * والسلطانين العظيمين * تقلدا
 زمام السلطنة * وحصولا على مزيد الفخر في تلك الأزمنة * بدون
 أدنى تعب * ولا مشقة ولا نصب * وانما كان ذلك الشرف *
 يتناوله الخلف عن السلف * وأما حضرة ساكن الجنان * محمد علي
 باشا العظيم الشأن * فانه تبوأ أسرة هذا المقام * بما كان عنده
 من الحزم والأقدام * وصدق النظر في سياسة الأحكام * وقد ظهر
 عما تقدم * فضل هذا الأسد الغشيم * الذي عاد به للدولة

المصرية شباها * بعدان كانت قد هربت وهوت قباها *
 وأخرجها من ذلك الظلام * ومتعها بالامن والسلام * وزتب
 أحكامها على أحسن هيئة وأكمل نظام * وجعلها من أشهر محاللك
 الدول * كما كانت في زمن الفراعنة الاول * شعر

هكذا هكذا والافلا * من تاي عجده واستظالا
 ملك جل في الفخار فامسى * لاسلاطين قدوة ومثالا
 آسفي علا على كل عال * بفعال تستغرق الاقوالا
 قد دعوه العلى تفرأقلنا * صدقوا ان شأنه قد تعالى
 ودعوه محمد او عليه الحمد * من كل أمة قد رتوالى
 عرفت مصر فضله ففى ثنى * كل يوم عليه ما الدهر طالا
 وكان محبا للعلماء والنبلاء * يعز الادباء والفضلاء * يصغى الى
 كلامهم * ويبالغ فى احترامهم * مخرمات طاعة أخبار الاوان *
 وسير الملوك والسلاطين * وكان قوى الذكاء والمخيلة * اذا عرضت له
 دعوى أو مشه * لا ينساها أبدا * ولو طال عليها المدى * فتح اليمن
 وبلاد السودان * واستولى على عربستان * وحارب عبيد الله
 باشا والى عكا وكسره * وقبض عليه وأسره * عن يد الاسد الكرار
 * والبطل المغوار * الذى افتتح المدن والامصار * وخضع له كل
 صنديد وجبار * صاحب الهمة العلية * والصولة الحيدرية *
 حضرة نجله الكريم * سمى الخليل ابراهيم * كما سياتى بيان ذلك

في مكانه * وكان مع عظمته وعلو شأنه * لطيف الذات * ظريف
 الصفات * متصفا بكارم الاخلاق وعلو الهمة * ومعاملة الكبير
 والصغير بالمكارم والرحمة * لا يميز بين الغني والفقير * ولا
 يحابي المالك على المملوك * ومن اخباره الاطيقه * وتوادره
 الغريبة النظر بقة * انه مر في بعض الاحيان * بصبيان يلعبون في
 بستان * فلما رآهم وقف ينظر اليهم * ويتفرج عليهم * فبينما هم
 يلعبون بعضهم مع بعض * اذ وقع طربوش أحدهم على الارض *
 وكان الطربوش رثينا حقيرا * لان الولد كان مسكينا فقيرا * فاقحم
 الصبي ليتناوله * فالتقطه محمد علي بحسن كان في يده وتناوله *
 وقابل الاولاد بوجه بشوش * وقال من يشتري هذا الطربوش *
 فاقبل الغلمان اليه * وجعلوا يتزايدون عليه * فقال الغلام لأمه
 الاممات قد ناز * ولا أتقصه شيئا عن هذا المقدار * فالتفت الى
 الولد وقال يا لهجب * ما هذا الطاب * فقال يا صاحب المنه الطيبه
 والمنزلة الرفيعة العظيمة * ان الطربوش الذي يكون دلاله محمد علي
 باشا لا يكون باقل من هذه القيمة * فحجب من خطابه * وسرعه
 بجمته في جوابه * وقال لقد قلت حقا * ونظمت صدقا * وأمره
 بما تقدمت به * وقال استمعن بما على ما تختار * ومما قيل * من هذا
 القليل * ان رجلا من أهل البصرة * يقال له الدرويش أميني وقف
 امامه مره * فأمره بالف من الفضة يستعين بها على شأه * فآخذها

ومضى وهو مستخف باحسانه * ثم عاد في اليوم الثاني اليه * ووقف
بين يديه * فأمر له بمثل ذلك القدر * فأخذه وشكره * ثم عاد في اليوم
الثالث فضجرت منه * وأعرض بوجهه عنه * فقال الدرر يش أطلال
الله بقالك * ورفع مجدك وسناك * اتنى رجل فقير * ضعيف الحال
حقير * قد قصصت جنابك * ويممت بابك * طمعا باحسانك
ونوالك * وجزيل كرمك وافضالك * لعلى بانك كهف الفقراء
وملاذ الغرباء * ومحط الرحال * وغيت النوال * وكعبه الآمال *
وقد ضجرت منى وانتهرتني * وأعرضت وجهك عني واحتقرتني *
لأنك أعطيتني خمسين غرشا في تردادي عليك ثوبتين * فأجدهنني
مكانك وترددت على في الساعة مرتين * وأنا أعطيتك كل مرة ألف
غرش * يتبعها بعض امتعة من نقائس اللبس والفرش * فتبسم
صاحبا من هذا الكلام * وأمر له بثلاثة آلاف غرش على التمام *
فتوجه ونشر ح البال * منبسط الآمال * وهو يدعوله بطول العمر
والبقاء * ودوام العز والارتقاء * وبالجملة والتفصيل * فإنه كان
من أفراد هذا الجيل * ليس له شبيه ولا مثيل * أقام معاملة كبره *
وابنية شهره * وجوامع كسبه * منها جامع تربته الذي أنشأه
بالقلاع * وأبقته باحسن أنواع الصنعة * وهو أشهر من أن يذكر *
يفوق أياما وبيا بحسن المنظر * قد حلاه بأعظم أنواع الزينة * من
نقائس الأذهجة والذخائر الثمينة * التي تدهش عقول المتفرجين

* وتذهب على عيون الناطرين * واقام له منارتين عظيمتين * في
 الجوف شاهقتين * ورصع أرضه بالمرمر * من الابيض والاحمر * ووضع
 فيه الساعة الفاخرة * التي يسمع دقها أكثر أهل القاهرة * بني
 مساجد القطار وحدها * ورتب لها أوقافا وحدها * وجعل لكل
 جامع قدرا معلوما من الاطيان * تخلص على طول الزمان * معقودا من
 الاموال والعشور * فيأله من عمل محمد مشكور * وابتنى في
 الحرمين التكايا للصدقات * ورتب لها ما يلزم من النفقات * ومحا
 آثار الكولمان * أهل البغي والعدوان * أبادهم بالسكينة والحيلى
 اذ جعل سفر ولده طوسون الى الحجاز وسيله * فاعتادهم وليلة فاخره
 * داخل قلعة مصر القاهرة * واستدعاهم للحضور والاجتماع *
 على سبيل الضيافة والوداع * وبعد حضورهم واجتماعهم * مع
 حواشيهم وأتباعهم * هجم عليهم العسكر * واذاقهم الموت
 الاحمر * ولم يسلم منهم أحد في ذلك اليوم * سوى رسنم كاشف وكان
 من شجعان القوم * فلما عاين الملبى وعرف باطن الطوية * أبقن
 بحلول المنية * فعمد الى حصانه * أسرع من البرق في لمعانه * فركبه
 بالعجل * وقد استقتل * وافتح السور * بقلب جسور * والقي
 نفسه من أعلى القلعة * وعند اقترابه من الارض وثب عن ظهر
 الجواد بكل خفة وسرعة * فقتل سالبا وقتل الحصان * ونجا ذلك
 البطل بعناية الرحمن * فولى وهرب * خوفا من العطب * ثم ارتحل

من الديار المصريه * وقصد الاستبانه العليه * وهو متفكر الهيشه
 واللباس * لا يكاد يعرفه أحد من الناس * ولما شاع أمره وظهر *
 استعظمه جميع البشر * وتحدثوا بقصته في كل مكان * لانهم
 رأوها من عجائب الزمان * وبهذه الوسيلة اشتهروا غنى *
 وبلغ القصد والمنى * وارتقى الى أعلى درجات المعالي * وصار من
 أعيان وزراء الباب العالي * فيا له من بطل * على هذا العمل * الذي
 لم يسبقه عليه انسان * من صناديد القريسان * لعمري انه عنده زمانه
 وفر يد عصره وأوانه * أقول وبانذار الممالك الفجار * عاد
 لقطر مصر العمار واليسار * بعد اندراس معالمه من سنين واعصار
 وصفت لمحمد علي باشا الاحكام من ذلك النهار * لذن أهل مصر
 ورباهم * وأمن ديارهم ومأواهم * وساوى بين العدو والصديق
 وقطع دابر قطاع الطريق * لاسم الشقياء سكة شبرا * التي هي
 الآن جنة خضراء * غرس بها الاشجار واليباتين * وانواع الازهار
 والرياحين * حتى صارت نزهة للناظرين * يقصدها الناس من كل
 فج * والسياحون من عرب واتر الوافر نج * قد فاق بقصورها
 الاندلس في غابر الزمان * وازدهت تيهها على امنية باريزوساثر
 البلدان * أقام بها الدور الشاهقة المزخرفة * والقصور الجميلة
 المستظرفة * التي تضاهي بارتفاعها الابلق * وتباهي غمسان
 والخورنق في التزاهة وحسن الرونق * فكلمه من محاسن وماثر *

وكنى من جسد وروقتا طر * منها القناطر الخيرية * ذات المحاسن
 النيرة * أشادها ببناء محكم الأساس * يذهل عقول الناس * وضبط
 منافذها بحديد وثيق * لحفظ الماء لسقي المزروعات في زمن
 النحر يق * وهي من أعاجيب الدنيا قل ولا تبالي * كأنها صفت
 عيونها بنظم كاللآلى * صرف عليها من القرنسكات خمسة وأربعون
 مليون * وقال لسان الحال * (مثل هذا قليلا على العالمون) * فججز
 الآخر عن إصلاح ما به من الخلل * وتخير فحول المهندسين في
 اجراء ما وافق ذلك من العمل * فبما صاح ناشد ذلك الرحمن * ادع له
 بالعفو والغفران * وجدت بما أثره الحسان * في كل مكان * وهي
 مدنية قوله بهذا البطل الهمام * وقل لها افتخري به على جميع
 الأنام * وكن شاكر اجميله وفضله * إذا كرا حلمه وعدله * وكانت
 أمامه كالطراز المذهب * تعد من أيام الهنا والطرب * كثرت فيها
 التجارة والغنى * وبلغ الناس بها غاية المنى * واتسعت دائرة
 المعاملات * بين مصر وبقية الجهات * وازدهرت عليها الخلائق
 * من المغارب والمشارق * وازداد أهلها وسكانها * وارتفع
 قدرها ومكانها * وانتشر صيتها وشأنها * وعاد اليها شبابها القديم
 * في أيام هذا الخديو العظيم بعد أن كانت عجوز أعقيم * ومن آثاره
 الفخيمة * ومشروعاته العظيمة ذات المنافع الجسيمة * حفر ترعة
 الباجوري * وباسوس والشرقاويه وترعة العطف والقلبيويه *

ولا سيما ترعة المحمودية * التي كانت تدعى بالاشرفية * فسميت
 الى الملك الاشرف * المنعوت بالفضل والاشرف * وكانت
 خاتمة ما فخر اقدار تدم * وصار وجوده على تهادى الايام كالعدم *
 فأعادته على أحسن طريقه * وجعله ترعة واسعة عميقة *
 بحيث تسلك فيها السفن البخارية * حاملة الركاب والبضائع
 البخارية * وبذلك اتصلت القاهرة بالاسكندرية * على أقرب
 طريق وأسهل سبيل * بعد تلك المسافة الشاقة والمدى
 الطويل * وقد اجتمع عليها من الفعلة والخدم * أكثر من ثلاثمائة
 ألف نسمة * وكان مدة حفرها نحو سنة وشهر * واكتسب بهذا
 المشروع المفيد مزيد المدح والشكر * ومن مفاعله الخير به *
 سده الترعة الفرعونية * التي كانت عديمة النفع * ومضرة بأراضي
 الرزق * وكان تتميم هذا العمل * بعيدا عن الامل * لا لتزايده
 تحويل جانب عظيم من النيل * عن مجراه العريض الطويل *
 وبعد بذل الجهد * ومقاساة التعب والسكد * انضدت على أحسن
 اسلوب * وحصل المطلوب طبق المرغوب * جزاه الله خيرا على هذا
 الاحسان * وجعل اسمه نخلة على عمر الزمان

* (الباب الثاني) *

في وصف نخلة الكريم * سمى الخليل ابراهيم
 ومن تمام سعده * واقبال عزه ومجده * ان الله تعالى برقه اولادا

كراما * لم ترمق الا لحاظ اشخاص اتضاهيهم رفعة ومقاما * وشجاعة
 واقداما * وادابا وكالا * وسعادة واقبالا * وحسنا وجمالا *
 وسماحة وافضالا وعزما وعزما * وفيها وحلما * واطاقة ووداعة
 وفصاحة وبراعة * منهم ابراهيم وهو اكبرهم * وطوسون وسعيد
 واسماعيل وحسين وحليم ومحمد علي وهو اصغرهم * وكان
 ابراهيم اعظمهم واشهرهم * واشجعهم واقدريهم * ولد في مدينة قوله
 بعد زواج ابيه بستين * وكان متوسط القوام ممتلئ البدن أشهل
 العينين * مستطيل الوجه والانف * يعد في الرجال بالف * اجس
 الصوت * لا يهاب الموت * اذا لطم ليشأ عده * أوهاجم موكا
 فرقه وهزمه * وكان مع هذا البطش والافتدار * والمنزلة
 العظيمة المقدار * محبا لعسكره لا يميز ذاته عنهم * جاعلا نفسه
 في الاسفار والحروب كواحد منهم * فكانوا يخضعون له تعظيما
 لمقامه واعتبارا * ويذلون أنفسهم قدامة طوعا واختيارا *
 وكان أبوه يحبه ويميل اليه * ويعول في أمره عليه * ويقوده أعظم
 المهمات * ومباشرة الحروب والغارات * لعلمه بحزمه * وشدة بأسه
 وعزمه * فصار في أمر الافلح * ولا قصد حرب قوم الا فاز ونجح

(الباب الثالث)

في منبر ابراهيم باشا بالعساكر الجهادية *
 لمحاربة الديار الشامية

وكان قد حدث في تلك الايام * بين محمد علي باشا وبين عبد الله باشا
 والى عكا تفور ونخسار * وكان عبد الله باشا المذكور * لا يركن
 اليه في امر من الامور * غديم الوفاء * متقلب الآراء * لا يرضى عهدا
 ولا يحفظ ودا * عاكفا على الملاهي واللذات * مشغوبا بسماع
 الاغاني والاصوات * وكان أبوه من عماليك أحمد باشا الجزار *
 يقال له على أغا الخزندار * فساعده يد العناية * حتى تمكن من
 الولاية * وطابت له الايام * وبلغ القصد والمرام * وكان دأبه
 الاهتمام * بإقامة العمار * وتحصين عكا بالابراج والاسوار *
 وجميع الاموال من جميع الاقطار * وكان قد استولى عليه الطيش
 واستخفه البطر وطيب العيش * حتى حاد عن الطريق المحمود *
 وتجاوز في الاحكام الحدود * واشهر العصيان على الدولة * ذات
 الشوكة والصولة * أملا بالاستقلال * وطمع في الاموال * ولما
 بلغ حضرة السلطان محمود خان * ما هو عليه من الهذيان * والتمرد
 والعصيان * وارتكاب الظلم والعدوان * غضب من سوء فعله *
 وأرسل عسكر القتاله * تحت راية البطل الهمام * دورو يش باشا
 والى دمشق الشام * فحاصره زمنا طويلا * وأذاقه عذابا وسلا *
 ولما اشتد عليه القتال * واحاطت به الاهوال * وانقطع عنه
 الامداد * من سائر البلاد * صمما من غفلته * واستفاق من سكرته *
 وداخله الخوف والفرع * واضطررب من الهلع * وابقن انه اذا

طالت عليه تلك الحالة * يؤخذ أمير الاحماله * فابتدرا بالعجل *
لاستدعاء الامير بشير حاكم الجبل * وكلن من افراد الرجال * موصوفا
بالفضل والكمال * وحسن التدبير وجميل الخصال * واقداً جاد
من وصفه فقال

انما أنت واحد غير اني * استأعطيتك منزل الآحاد
فيم اذا يا الغبون وهم لا * يبلغون الا نصاب بعد الجهاد
لك خوف لو صادف العين في الحلم امارت تخاف طيب الرقاد
تفخر الناس بالجدود وانكن * أنت فخر الآباء والاجداد
وأرسله الى الديار المصرية * ليستعمل له خاطر الحضرة الخديوية *
لاصلاح امره مع الدولة العلية * وكان محمد علي باشا له وجاهة كبيرة
ومنزلة عند الدولة رفيعة خطيره * فلبى دعوته * وأجاب طلبته *
وكتب في شأنه الى القسطنطينية * واسترضى الدولة عنه بموجب
ارادة سنية * ورفع عنه تلك الشدة * بعدما أقام في الحصار مدة *
وصار له عليه حق الجميل والاحسان * على مدى السنين والازمان
غير ان عبد الله باشا كبرت نفسه بعد ذلك عليه * وبمحمد فضل محمد علي
باشا واحسانه اليه * وحصول العفو له على يديه * وسلك معه سلوك
اللاثام * الذين لا عهد لهم ولا زمام * وتكلم في حقه بما لا يليق من
الكلام * فلما بلغ محمد علي باشا هذا الخبر * زاد به الغيظ والمكدر

وكتب الى حضرة السلطان * محمود خان بعلمه هذا الشأن * وملتقى
 من جلالاته * خلع عبد الله باشا عن ولايته * فلم يكثر بخطابه * ولا
 أجابه على كتابه * فاستعظم منه ذلك الامر * وراة من عجائب الدهر
 ولم يعد يمكنه الاصطبار * على ذلك الذل والعار * فجهز ولده أسد
 الآساد * وسيف الجهاد * ابراهيم باشا فار من ميدان الطراد * ان
 يسير لحرب الديار الشاميه * وارد في العجالة البحر به * وأصيب
 بثلاثين الفا من شجعان العسكر * الذين لا يبالون بالخطر * ولا
 يهابون الموت الاحمر * شعر

جيش يسير النصر فوق لوائه * فتخافه الاعداء قبل لقائه
 جيش تذل له الرقاب وتحنى * طوعا وتحمي تحت ظل حماه
 فسارت العساكر * بالمهمات والذخائر * قاصدة الديار الشاميه *
 على طريق البريه * وأما القائد العام * والبطل الهمام * ابراهيم
 باشا فارس الصدام * فانه نزل في العجالة البحر به * مع باقي الجيوش
 الجهاديه * وكان من جملة معاونيه * عباس باشا ابن أخيه * و ابراهيم
 باشا الصغير * وغيرهما من القواد المشاهير * وكانت العجالة
 المهر به * مؤلفة من ستة عشر قطعة حربية * وسبعة عشر سفينة
 وسفينة * تختار ياسة أسد العرب * وفخر الامام جلال الدين *
 عثمان بك نور الدين * وكان خروجه من بوغاز الاسكندرية * في غرة
 جمادى الاولى سنة ١٢٤٧ هجرية * فوصل في خمسة ايام * الى

حيفا إحدى أسا كل بر الشام * وهي بلدة تبعد عن عكا ثلاث ساعات
 * وأهلها يبلغون نحو ثلاثة آلاف من النسمات * ولما ألفت
 المراكب مراسيها * نزل إبراهيم باشا إليها وخيم في نواحيها * فترزلات
 بقدمه الديار الشاميه * وارتمت من هيئة مرجة قويه * وأما باقي
 الجيش والعسكر * الذي سار على طريق البر الاقصر * فانه كان
 قد واصل التسيار * وجد في قطع البراري والقفار * فاشرف على
 عكا من الجهة الجنوبية * في عشرين من تشرين الثاني سنة
 ١٨٣١ م * وانضم الى باقي الجيوش المصرية * وكان لما بلغ
 عبد الله باشا هذا الخبر * وابصر الجيش والعسكر * أحاط به الخوف
 وانذعر * وطار من عينيه الشرر * ففرق الاموال * وجمع الفرسان
 والابطال * وشرع في تحصين القلع والاسوار * واستعد للقتال
 والحصار * وأرسل يستدعي من حوله من الاكابر والاعيان *
 وكتب بخط يده الى الامير بشير حاكم لبنان * يستنجده لهذا الامر
 ويقول له ان المشايخ بنى الجرار وبنى صقر * وعرب السلط وبنى
 صخر * ينتظرون قدومه اليهم * ليكون رئيسا عليهم * وفي اثناء
 ذلك يذكره بالصدقة القديمة والحبة * ويثني على أمانته وحفظه
 المودة والعصبه * متمثلا بقول الشاعر

وأنت الخالص الذهب المصفي * بتزكيتي ومثلي من يزكي
 وكانت عكا في تلك الايام * من أشهر مدن بر الشام * وكرسى الولاية

والحكام * ذات ابراج حصينة * وقلاع متينة * مشكونة بالذخائر
والمهمات * وآلات القتال والنجانات * وفيها من رجال الحرب *
وفرسان الطعن والضرب * نحو خمسة آلاف مقاتل * بين فارس
وراجل * وكان ابراهيم باشا صاحب الهمة العلية * قد تقدم نحو
عكافى فرقة قوية * من الفرسان والطويحيه * وبني اتراسا متينة * على
تل هناك تجاه المدينة * يقال له تل الفخار * ووضع عليه المدافع
والقنايل السكبار * وأرسل الى عبد الله باشا يقول * ضمن كتاب
مع رسول * ان يسلم المدينة * بطريقة أمينة * ويرجع بخدم العباد
وسلامة البلاد * ويبادر الى ملتمام * ويعتذر عما جناه * ويدخل
تحت لواء الحضرة الخديوية * ويعيش باقى أيامه فى رغد ورفاهية
* وعين له أجلا للعضور * وتسليم الحدود والتغور * ان تجاوزه
ولم يخضع لامره * يضربه بالمدافع ويجعل كيدته فى نحره * وحينئذ
ياخذ أسيرا * ويرسله الى مصر ذابلا حقيرا * ولا يعود يقيد
الندم * بعد فوات الفرصة وزلة القدم * فلما وقف على كنايه * وفهم
خوى خطابه * شق ذلك عليه * وعظم الامر لديه * وحادثه عقله
السقيم * بعدم الطاعة والتسليم * وتصلب على المحاصرة والمقاومة
وأصر على المدافعة والمصادمة * ورفض أمر الصلح والمسالمة *
وسعى بسوء تدبيره * على خرابه وتدميره * ولم يعلم ان أيامه قد مضت
ومسدة أحكامه زالت وانقضت * واستمرت بينهما المخاربة نحو

عشرة أيام * وعبد الله باشا يحاول بالكلام * ولا يقدر عواقب الأيام
وكان مسترأبوت * فنصل دولة الانكاز في بيروت * لما بلغته هذه
الاخبار * سار قاصداً تلك الديار * واجتمع إبراهيم باشا في الخيام
بعد عشر ثلاثة أيام * وأخذ يلومه بالكلام * على قدومه الى الشام
بدون رخصة سنية * من الدولة العلية * بقوله له ان هذا العمل *
لا توافق عليه بقية الدول * لاسيما الدولة الانكازية * المتحددة مع
الدولة العثمانية * على حفظ الصداقة واخلال الصلوة *
فاغتنط إبراهيم باشا منه وتأثر * غير انه لم يظهر له من غيظه ما أشهر
وقال له اعلم * أيها الصديق الاكرم * اني حضرت بالعباساكر
الجهاديه * لاستخلاص الديار الشاميه * انتقاماً من عبد الله باشا
بأمر الحضرة الخديويه * فان كان ذلك لاوافق دولة الانكاز *
فعليه ان تخاطب به جناب والدي العزيز * لحق امرني بالرجوع *
عدلت عن هذا المشروع * والا فلا أرجع بدون ذلك * ولو قامت
على جميع الممالك * ثم غرض على الاثر * وتوجه قاصداً المعسكر *
ولم يلبثت الى حديث مسترأبوت وكلامه * ولا اكثرت بتعنيفه
وملامه * واستقر على ما كان قد قصد * من ضرب الاسوار وهدم
البلد

(الباب الرابع)

في حصار مدينة عكا وفتح أسا كل عربستان

واستبلاء ابراهيم باشا على جبل لبنان
 فلما انقضت مدة الميعاد المفعود * وفات وقت الاجل الموعود *
 وعبد الله باشا ما زال مضرا على عدم تسليم البلد وباقي الحدود
 * استعداد ابراهيم باشا وتأهب * في اليوم الرابع من شهر رجب *
 على ضرب المدينة * وهدم ابراهيم الحصينة * فارسل الى روساء
 الطوبخية * وقائد العمارة الحربية * يأمرهم باطلاق النار
 * على الابراج والاسوار * فامتثلوا ما امر * ولم تسكن الالحة
 بصر * حتى اطلقت المدافع والقنايل * على الحصون والمعاقل *
 وكان الضرب متصلا من الخارج والداخل كالغيث الهاطل *
 وكان قد ارسل الى الامير بشير حاكم الجبل * كما يابستدعي حضوره
 بالبحر * ليقرر في مركز حكومته * ويعيش في ظل نعمته * فلما
 وقف على هذا الخطاب * داخله الخوف والاحتساب * وجمع
 اكابر لبنان * ومن يعتمد عليهم من الاعيان * واستشارهم في
 هذا الشأن * فاستقر رأي الجمهور * على عدم التسليم والحضور
 خوفا من عواقب الامور * فلما ابطأ في قدومه * وأصر على عدم
 تسليمه * استشاط ابراهيم باشا غضبا * وتبدلت فرات حلمه
 لها * وكان قد صمم النية * على ان يدهمه بالعساكر النظامية *
 و يقبض عليه جبرا * ويستولي على لبنان قوّة وقهرا * ثم توقف
 وعدل * عن هذا العمل * لان آباءه كان أوصاه به قبيل خروجه من

القاهرة * بالعسا كرا الظافره * فظرا لما كان وقع له عنده * من
 المتقرب والموده * وذلك عند ذيارته الديار المصرية * وتمثله أمام
 الحضرة الخديوية * في طلب العقو والامان * حسب ما قررناه قبل
 الآن * فكتب الى والده بمصر يعلم بهذا الامر * فلما وقف العزيز
 على هذا الخبر * داخله الغيظ والكدر * وتأثر من مخالفة الامير
 وكتب اليه كتابا على سبيل التنبيه والتحذير * يعاتبه على ذلك
 القصور * ويهدده بسوء العاقبة ان تأخر عن الحضور * فمن جملة
 فحواه * ومضمون ما حواه * ان لم تحضر الى خدمة ولدي ابراهيم باشا
 سر يعا * وتكون لا واحدا منقادا مطيعا * فليكن عندك يقينا *
 اني ساخر بـ ما كنك وأغرس أرضها عنيأوتينا * وقد بالغنا في
 النصيحة * وحذرتك بأقوالنا الصالحة * فاستيقظ من رقادك *
 واحذر عاقبة عنادك * قبل ان تحجم العسا كرا عليك * وتأخذ
 ولا يتلث من بين يديك * فاضطرب الامير بشير * من هذا التهديد
 والتنذير * وأثر فيه هذا الكلام * وخاف عواقب الانتقام * فصعد
 على التاهب والمسير * لخدمة ابراهيم باشا بدون تأخير * وركب
 من يومه * في مائة فارس من قومه * ولما أقبل على المعسكر * خرج
 الى ملتقى أمير الای العسكر * وتبعه بحري بلش رئيس المكتبة
 ومصطفى أغا بربر * وبعض رؤساء العسا كرو الجنود * بالموسيقى
 والطلاق البارود * فدخلوا به الاوردي بموكب عظيم * ونزل في

الخيمة المعدة له قرب خيمة ابراهيم * وكان ابراهيم باشا حينئذ يحول
 بين الجيوش والاقواد * ويرتب الصفوف والاجناد * وينشطهم
 على الهجوم والتميات * والحرب قائمة على عكا من جميع الجهات *
 وعند رجوعه في المساء استدعى الامير اليه * فطيب قلبه وصفا
 خاطره عليه * ولاطفه بالحديث والكلام * واجلسه معه على
 الطعام * وشمله باللطف والاحسان * وقوض اليه أحكام جبل
 لبنان * واتخذ من جملة الخواشي والاعوان * وكان قد ارسل
 فريقا من العساكر * بالمهمات والذخائر * لاستخلاص الثغور
 والاساكن * تحت قيادة الليث الباسل * والبطل الخلاق *
 صاحب القدر العلي * حسن بك المنسطري * فاستولى على صيدا
 ومصور * وببيروت وطرابلس وباقي الثغور * وكانت العمارة الرابطة
 تجاه عكا * قد تبطل بعضها من شدة العواصف والانواء * ووقوع
 الكل الكبار * التي كانت تسقط عليها كالامطار * من
 الابراج والاسوار * في الليل والنهار * فاقبلت بامر ابراهيم باشا الى
 الاسكندرية * في آخر كانون الثاني سنة ١٨٤٢ مسجبه *
 ولما بلغ السلطان محمود خان * قدوم ابراهيم باشا الى عربستان *
 واقتناحه المدن والبلدان * استولى عليه الغيظ والغضب *
 وكتب الى محمد باشا والي حلب * يقول له من جملة الكلام * اعلم أيها
 لوزير الهمام * قد انتهى البناء في هذه الايام * مجي ابراهيم باشا

بالعسا كرام مصر به * افتتح الديار الشاميه * والاستيلاء على ولاياتها
 ومدنها و باقي ملحقاتها * واستولى على اطراف البلاد * وانتقادت
 اليه العباد * فلذلك قد أصدرنا الاوامر والمراسيم * بتجهيز
 العسا كروا رسالها الى تلك الاقاليم * تحت راية السردار الاكرم
 حسين باشا الانخم * فيجب عليكم * انه بوصول امرنا هذا اليكم *
 ان تحصنوا القلاع والمعاقل * ونجمعوا العسا كروا الحماقل *
 وتستخلصوا منه تلك الاسا كل * قبل قدوم الجيوش المذكورة *
 والعسا كرام منصوره * فلما وصل هذا المنثور * الى الوالى
 المذكور * شرع في تحصين البلد * بالسلاح والعدد * وجمع
 العسا كروا الجنود * وعقد الرايات والبنود * وسار الى حصص من
 غيرتوان * فى سبعة آلاف عنان * من الارناؤط والهورى والعربان
 * وعند وصوله الى المدينة * حصن قلاعها بالمدافع والابنية المتينة *
 وأقام بفرسانه فيها * وعسكر فى بنواحيها * منتظرا قدوم العسا كروا
 العثمانية * ومجى حسين باشا من القسطنطينية * وارسل أمامه
 عثمان باشا كامل * فى أربعة آلاف مقاتل * بين فارس وراجل
 لقتال العسا كرام مصر به * واستخلاص المدين الجريه * فسار
 بهمة وحمية * واستولى على اللاذقية * ثم تقدم بعزم وثبات * الى
 نواحي طرابلس وتلك الجهات * فالتقاء من عسا كروا مصر شرذمه *
 نحو خمسة مائة نسمة * وكان فى مقدمتهم الاسد الوثاب * الامير خليل

ابن الامير بشير الشهاب * وجمعيته ستمائة بطل * من عسكر الجبل
 ولما وقعت العين على العين * اشتعلت نيران الحرب بين العسكرين
 والتقت الفرسان بالفرسان * والاقران بالاقران * واختلاف
 الضراب والطعان * وسالت الدماء على اديم الصحفان * وأخذ
 بده السيف والسنان * ولم تكن الاساعة من الزمان * حتى
 تضعفت من عثمان الاركان * فولى الادبار * واستنجد بالفرار *
 ورجع بمن معه من الفرسان والانصار * الى قلعة الحصن وبلاد
 عكار * وهو في حالة الذل والانكسار * وحينما بلغ ابراهيم باشا
 هذا الخبر * ومجى محمد باشا الى حصن ذلك العسكر * وهو اذ ذاك
 محاصر عكا الحصينة * وقد كاد أن يفتحها ويهدم اسوارها المتينة *
 تجهز من يومه وسار * في أربعة آلاف فارس كرار * قاصداً تلك
 الديار * وترك عكا تحت الحصار * ثم عجل في السير * وسابق بحسبه
 الطير * فادرل عثمان باشا في أرض الزراعة بقرب القصر *
 وكان محمد باشا قد أمده بالمهمات والذخائر * وأضاف اليه فرقة من
 العساكر * فناوشه الحرب * وبادره بالطعن والضرب * فقهره
 وكسره * وفرق جيشه وعسكره * وفر عثمان باشا من ساحة
 المعركة * وترك الذخائر والمهمات والامتنع * ولجأ الى حصن بمن سلم
 من جنده * بعد ما قتل من عسكره نحو ألف قتيل * ومن

المصر بين نفر وليل * ثم رجع ابراهيم باشا على الاثر * بعد ما غلب
 وقهر * وفاز وانتصر وغنم وأسر * وبلغ القصد والوطر * وأتى
 دير القمر * وترك فيها ألفاً وخمسمائة نفر من شجعان العسكر *
 وعاد الى عكا بعد ذلك الانتصار * وشدد عليها الحصار * وكان قد
 أرسل عباس باشا الى بعلبك في اليوم الخامس عشر من نيسان *
 وأصحبه بالايين من الفرسان * ليقم بحفاظ في ذلك المكان
 * (نادرة) *

وكانت لابراهيم باشا في حصار عكا مواقف غريبة * ومشاهد
 مذهلة عجيبه * تدل على شدة بأسه وشجاعته * وحسن تدربه في
 أبواب الحرب وبراعته * فمن ذلك ما حدثني به بعض الاعيان * من
 أهالي عريستان ممن كان في خدمته * ومقدمي رجال دولته *
 فخرج ابراهيم باشا ذات يوم في جماعة من قواده * منفردا عن
 عسكره وأجناده * وقصد مكانا يبعد عن المدينة نحو نصف ساعة *
 وكنت أنا من جملة الجماعة * ولما انتهينا الى ذلك المكان * نزل عن
 ظهر الحصان * وجلس على الرمل متسكما على ركبتيه * فنزلنا نحن
 أيضا ومثلنا وقوفنا بين يديه * فانتزع النظارة وكشف المدينته *
 وشاهد أسوارها المتينة * وأبراجها وقلاعها الحصينة * قال
 صاحبي فما كان الا كلمحة بصر * حتى تبدل صفونا بالسدر * من
 وقوع السكال السكار * التي كانت تسقط حولنا كالامطار *

من الابراج والاسوار * تخفت من عواقب الامور * ولت نفسي
 على الحضور * وعلمت بان الاعداء أبصرونا * ووجهوا مدافعهم
 نحونا ليهلكونا * فقلت له وقد ضاع فكري * وحرث في أمري *
 أدام الله أيامك * ونصر أعلامك * ومكن من رقاب الاعداء
 حسامك * ان محبنا الى هنا كان غلطا * وجاؤسنا في هذه الارض
 خطر عظيم وخطا * فقم بنا لنذهب * قبل ان يحبسنا العطب * لان
 قاي قد اصدع * من شدة الخوف والفرع * فله درك من شجاع
 وسبع لا يقاس بالسباع * فقد عاشرت الابطال والفرسان *
 وسمعت باخبار صناديد الزمان * فما سمعت بمثلك بين الشجعان *
 ولكن أيها السيد الجليل * لا تخفي عليك ما قيل
 ليس المخاطر محمودا ولو سلمنا

فتبسم ضاحكا من مقال * ولم يحبني على سؤالي * وكان قد أمر بعض
 الخدم * ان يأتيه بكبس مشوي من الغنم * فامتلأ ما أمر * وفعل
 كما ذكر * وما زلت أكرر عليه الكلام * وأطلب منه الاذن في ترك
 المقام * الى ان جاء الغلام بسفرة الطعام * فعند ذلك ألقى من يده
 النظاره * وهو مظهر الشجاعة والجسارة * والتفت الى وتبسم *
 وأمرني ان أتقدم * فقتقدمت على عجل * وأنا في خوف ووجل * من
 أصوات المدافع ووقوع السكل * واذا بك سقطت أمامي * كادت
 تسقيني حماي * فتدق قلبي * وزاد خوفي ورعي * فنهضت من مكاني

مرتعا * نارا مندهشا * كل ذلك وهو جالس * كانه الليث
العابس * غير مبال بهذه الحال * ولا خطر له خوف ببال * من
جميع هذه الاهوال * وبعد ان اكل وشرب * دعا بجواده فركب *
وركبنا نحن ايضا وتبعناه * واثالا اصدق بالنجاه * حتى بعدنا عن
العدو * وصرفنا في ساحة الامن والهدوء * ففجبت من جسارته على
الاهوال والنواب * وعدم اكراهه بالاختار والمصائب

(الباب الخامس)

في فتح مدينة عكا الحصينة *
وهدم ابراجها وقلاعها المتينة

وكانت الحرب على عكافائهم * والمدافع على ابراجها متصلة دائمة *
حتى هدم اكثر حصونها واسوارها * وسقط روث مجدها وفخارها
من وقوع السكال والقنابل * وهجوم الابطال والخافل * وكانت
سكان البلد * من الشيخ الى الولد * في خوف واحتساب * وقلق
واضطراب * من سقوط الكل واصوات البارود * فكانوا
يستترون تحت العقود * واستمر القتال * على هذا المنوال * مدة
سبعة شهور * بلا انقطاع ولا فتور * وكان المصريون في اثناء الحصار
يحفرون حفرات تحت اساسات الاسوار * ويضعون فيها البارود
ويضرمونها بالنار * فتهدم ما فوقها من البنيان * وتسحق المدافع

وتقتل الفرسان * ولما كان يوم الجمعة الموافق ٢٦ من ذي الحجة
سنة ١٢٤٧ هـ * هجرية * صمم ابراهيم باشا النبيه * لقيام هجمة
قوية * ليتمى بها الحال * وتكون واقعة الانفصال * فجمع
أركان حربه اليه * وأخبرهم بما قد عول عليه * وأعطاهم الاوامر
والارشادات اللازمة * المتعلقة بكل واحد منهم في تلك المهاجمة *
وعين لها اليوم الثاني من ذلك النهار * وهو السابع والعشرون
من ذي الحجة والثامن والعشرون من ايار * ولكن لما كان هذا
الدستور الاكرم * بحسب توفير اسباب سفك الدم * أرسل الى عبد الله
باشا قائدا من احمد * يطلب اليه اخيرا ان يسلم البلد * قبل ان تقوته
فرصة الامان * ويقع في قبضة الاسر والاهوان * وأنه غير منفلت عن
هذا الشأن * ولو تخربت عليه جبايرة الارض ومردة الجان * فلم
باتفت عبد الله باشا الى هذا التحذير والتنذير * وعده من باب
الخوف والتقصير * وقال للقائد المذكور * ان مدة الحصار لم
تجاوز بعد سبعة شهور * والمدينة محمدا الواحد الاحد * مشحونة
بالسلاح والعدد * وفيها من الجنحانات * والذخائر والعلوفات
ما يكفيها خمس سنوات * حتى جاء الوقت المعهود * وفرغ الزاد
والبارود * وانقطع عنا الامداد والاسعاف * ننظر حينئذ في انهاء
هذا الخلاف * فلما عاد القائد الى مولاه * وبلغه جواب عبد الله
تجيب من وقاحتة وحرار * وأمر بالطلاق المدافع على الحصون

والاسوار * فاطلقت طول ذلك الليل * وانصبت على البلد
 كبحار من السيل * ولما كان الصباح * تأهب العسكر للهجوم
 والكفاح * فقرعت الطبول * ولعلت النصول * وخفقت الرايات
 ونفخ النقب * واتصفت الايات الى فرق وطوابير * وسارت
 العساكر * كالا سود الكواثر * بحسب صدور الاواصر * طالبة
 القلاع والابراج * بدون خوف ولا انزعاج * وفي مقدمتها تاف
 السعد والاقبال * ينشد قول من قال

هيا بنا هيا بنا * للعرب نلقى ضدا
 نحن الاسود الكاسره * نحن السيوف الباتره
 من أرض مصر القاهرة * سرنا وقد نالنا المني
 هيا بنا هيا بنا * للعرب نلقى ضدا
 نحن الجهاديون لا * نخشى غبارا اذعلا
 ولم ندق في البلا * صدرا اذا الموت دنا
 هيا بنا هيا بنا * للعرب نلقى ضدا
 يارودنا شراره * يشوى الوجوه ناره
 وسيفنا بشاره * نحن العدي تمكنا

ولم تسكن الاساعة من النهار * حتى أشرفوا على الاسوار *
 واندفعوا عليها كالبحار * وكان أول من هجم بامر ابراهيم *

طابور من الالاي العاشر على برج كريم * الكائن في الجهة
 الغربية * من الاسوار الشمالية * ثم اتبعه على الاثر * ثلاثة
 طوابير آخر * تحت قيادة الشجاع الشهير * ابراهيم باشا الصغير
 وهو والد جناب حميد باشا و خليل باشا يكن * أصحاب الخلق الجميل
 والصدت الحسن * وانعطفوا بحملاتهم أسرع من البرق * على
 الابراج الكائنة تجاه الشرق * وكانت أكثر هذه المواضع * متقوية
 بكل المدافع * وأما أسد الآساد * وسيف الجهاد * وقائد القواد *
 فكان سائرهم على أثر العساكر * وبعيته طابوران من الالاي
 الخامس والعاشر * وكان يحول على ظهر جواده * بين صفوف
 رسله وأجناده * وهو يشجعهم بالكلام * وينشطهم على الهجوم
 والافتحام * ويعددهم بالمسكافة والاذنعام * فله درهم من فرسان
 وإبطال * ما شدتهم في الحرب والقتال * واثبتهم في ميدان النزال *
 على المخاطر والاهوال * وكان الرصاص يتناثر عليهم كالبرد *
 من الابراج ومطاريس البلد * وهم ثابتون ثبات الجبابرة * أو
 الأسود الكاسرة * غير مباليين بالخطر * طمعا بالنصر والظفر
 و بلاوغ القصد والوطر * بل كانوا يحجمون * على الاسوار والحصون
 بهم وعزائمهم * أمضى من الصوارم * وينصبون عليها السلام *
 ويتسلقون فوقها كالضراغم * هذا ولم يتصف النهار * حتى
 تمكنوا بالقوة والاقتدار * على أكثر الحصون والاسوار *

ونشر واعليها يبارق الانتصار * فاستولى الطابور الثاني * على
 المراكز والمباني * التي في الناحية الشرقية * المتصلة باطراف
 الاسوار السهلية * واستولى الطابور السادس * من الاي
 الخامس * على جميع الصوامع * التي في جهة النبي صالح * وهكذا
 استولى الاي الاحتياطي * على المتاريس الواقعة بقرب الشاطئ
 فلما رأى عبد الله باشا ذلك الهول العظيم * والخطب الجسيم * فدم
 على عدم الطاعة والتسليم * وعلم أن نجمة قد سقط * وعقد عزه
 انحل وانقرط * وانه عما قريب يثوخذ أسيرا * ويقاد أمام عدوه
 ذابلا حقيقيا * بعد ان كان واليا ومشييرا * ولكنه أظهر الصبر والجماد
 وسار بالعسكر الى خارج البلد * بقصد المدافعة والمماذعة * وسد
 الهجمات المتتابعة * فحاض ساحة المعركة * وجرت بينهم وقعة
 مهلكة * قتل فيها من قواد المصريين * وابطالها المشهورين
 الشجاع المقدام * اسماعيل بك القائم مقام * ومجرت هذا الاسد
 الغضنفر * ارتد جيش المصريين وتأخر * وضعفت عزيمته
 وتقهقر * فلما رأى ابراهيم باشا ان العسكر * قد امسى في ارتباك
 وخطر * خشي من الهزيمة والانكسار * بعد ذلك الفوز
 والاستظهار * فتقدم نحو جنوده بحرسه * وهوراكب على ظهر
 فرسه * وجعل يحرضهم على الثبات والجهاد * ويحثهم على الصبر
 والجلاد * ويقول هذا يوم الانتصار * هذا يوم الافتخار * هذا يوم

بلوغ الاوطار * فكانوا تارة يتقدمون وتارة يتأخرون * فعند ذلك
 سل سيفه من الخمد * وانعطف بالحيلة امام جند * واقحم مواكب
 الاعداء * كانه اسد البيداء * فشق الصفوف والكثائب * وأظهر
 بشجاعة العجائب * فتشجعت عزيمة المعسكر * بهيبة هذا
 الهمام الظافر والخصام البائر * وداختهم الحماسة واقتوه *
 وكروا على أعدائهم بنشاط وقوه * فدوا عليهم الطرق
 والطرائق * وألجموهم بضرب السيوف والبنادق * فأزاحوهم الى
 ما وراء الخنادق * ثم قويت عزيمة المحصورين * وانعطفت وابالجملة
 على المحاصرين * وحينئذ اختلطت الرجال بالرجال * والابطال
 بالابطال * واتحم القتال * واتسع المجال * وعظمت الاهوال *
 وجري الدم وسال * وتمكنت المسوارم * في الرقاب والجماجم *
 والحراب والخناجر * في الصدور والخواصر * وكان يوما من أعظم
 الايام * وساعة يشيب من هولها رأس الغلام * لان الدماء كانت
 تسيل كالطر * والجثث تتساقط على الارض كاوراق الشجر *
 والسهول والتلال * تهترمن فيجج الرجال * واصوات المدافع التي
 ترزع الجبال * حتى خيل للنظار * في ذلك النهار * ان الساعة
 اقتربت * والارض ارتجفت واضطربت * والسماء غابت
 واحتجبت والمدينة احترقت وانقلبت * ولقد أحسن المقال *
 وصدق من وصفه كافي ذلك اليوم وقال

قد قبل ان جهنما تحت الترى * مالى اراها فوق عكة تضرى
 لو لم تسكن دار الشقاوة عكة * ما أضرمتها بالشرار جهنم
 واستقرت تلك المعارك * والمهاجرة المتداركة * من الصباح الى بعد
 العصر * حتى هبت ريح النصر * وكانت قد كانت جوع عبد الله
 باشا * وانجلى عزه بنشاطها وتلاشى * وعجزت عن حماية البلد * ولم
 يعد لها أدنى ثبات ولا جلد * فالتواستلاحهم * وسلموا أرواحهم *
 خوفا من حلول اليوار * ونزول الدمار * وطلبوا لانفسهم الامان *
 واختاروا الاسر والهوان * وانصبت العساكر المصرية كالسباع
 واندفعوا على البلد أشد اندفاع * يعلوب لا يتحشى الموت ولا ترعاع *
 وتسلموا باقى الابراج والقلاع * واستولوا على مدينة عكا عنوة وقهرا
 بعد حصار سبعة أشهر برا وبحرا * وتسلم ابراهيم باشا زمام تدبيرها
 وقبض على عبد الله باشا وزيرها * والقاء تحت الحفظ والترسيم *
 بعد ما وجهه على فعله الذمى * وسلموا كذا الغير المستقيم * وفى اليوم
 الثانى وهو يوم الاحد * نزل فى قصر البهجة خارج البلد * وهو
 أحد القصور * المختص بعبد الله باشا المذكور * ولما استقر فى ذلك
 المسكان * خرج اليه الكبار والاعيان * وطلبوا منه الامان * فاجابهم
 الى ذلك الشان * وعاملهم باللطف والاحسان * ثم أمر بكتابة
 الاوامر والمراسيم * الى ولاية المدن والاقاليم * يعلمهم بذلك القمع
 والنصر * وانه استولى على عكا بالقوة والقهر * فتكلمت فى الحين

وأرسلت الى الولاية والمحافظين * وهذه صورتها
بعد السلام عليكم النهي اليكم * انه نهار أمس عند طلوع الشمس
زحفنا عما كرنا المصربة الظاهرة * بالقوة والسطوة القاهرة
واندفعوا على مدينة عكا اندفاع الاسود الكاسر * وبأدروها
بالمهاجمة * واقتحموها بالمصادمة والمقاومة * الى ان فتحوها
بقوة الحرب والنار الدائمة * وسعدوا أسوارها الرفيعة *
ووطئوا أبراجها المنيعه * وغدت عما كرا الأعداء مقهوره *
امام عما كرنا المنصوره * ولما تضعفت منهم الاركان * ورأوا
ما جرى وكان * رفعوا الرايات وطلبوا الامان * فاجبتناهم الى
سؤالهم * وبلغناهم غاية آمالهم * وعاملناهم بالرفق والاحسان
شفقة على الاهالي والسكان * ورأفتنا البنات والفسوان * والاطفال
والصبيان * وأخرجنا عبد الله باشا وكتخداه * وقوادعسكره
وزعماء * واستولينا على عكافهم راياذن الله * ولاجل اعلان هذه
البشرى حررنا لكم هذا المنشور * من ديوان عسكرنا المنصور *
لتعلموا مضمونه بالشك والسرور * وتواظبوا تاذية الدعوات
الخيرية * الى حضرة باري البريه * بدوام بقاء سعاده ولي النعم *
جناب والدنا المعظم * حرر في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٢٤٧

سلام على

ابراهيم

الحسين

وبعد ذلك استدعى بعبد الله باشا خضر بين يديه * وسلم عليه
واعذر إليه * وتصور الموت نصب عينيه * فلا طمعه وطيب قلبه *
وسكن روعه ورعبه * وأجلسه بالقرب من حضرة * وقابله بما يليق
بحشمته * ثم أرسله إلى أمه أسيرا * ذليلاً حقيراً * وعند دخوله
عليه وقع على قدميه * ملتصقاً منه الرضى * والعفو عما مضى * فلما
رأى حاله * صفح عنه ورث له * وأنزله في أحسن السرايات * وأجرى
عليه ما يلزمه من العلائق والنققات * فتباشرت الناس بزوال
أيامه * وسرت بانقراض أحكامه

* (الباب السادس) *

في مسير ابراهيم باشا البطل الهمام * بليوث الآجام *
وفرسان الصدام * لاقتحاج مدينة دمشق الشام *
وكان ابراهيم باشا صاحب الهمة العلية * والصولة الحيدرية * قد
بقي في نفسه شيء من حرب القصر على ما مر ذكره * فآثر ذلك عنده
تأثيرات فآزال يختلج به سره * اذ لم يكن في قصده الاعتداء على
حقوق الدولة العلية * ولا الاستيلاء على سوريه * وإنما كان جل
قصده الانتقام من عبد الله باشا المذكور * لما كان بينه وبين
حضرة الخديوي من الخلاف والنفور * فالبثت الدولة ان يادته
بالشر والقتال * على ما سؤلها سوء الظن به واختلاف الأقوال *
فأضطر إلى المدافعة عن نفسه ودفع الرجال بالرجال * ثم لما تمادى

الامر على الشقاق * وأصرت الدولة على عدم الوفاق * لم يجد دامن
 طرح زمامها * والثبات على حريم أو صدامها * فلما فرغ من حرب
 عكا كما تقدم الكلام * تجهز لاخذ دمشق الشام * ونهض في سبعة
 آلاف بطل همام * وسار معه الأمير بشير حاكم لبنان * في ألف
 وخمسمائة عنان * فوصل اليها في اليوم الخامس عشر من شهر
 حزيران سنة ١٢٤٨ هـ بمرية الموافقة لسنة ١٨٣٤
 مسجبه * وكان الوالي يومئذ على البلاد * رجلا يقال له علي باشا
 الأسعد * فلما بلغه قدوم هذا الأسد * اضطرب فؤاده وارتعد *
 فاستعد للقاء * وخرج بالعساكر للقتال * فالتقاء المصريين
 بقلوب كالحبال * واشتبك بينهم القتال * ولم تكن الاجولة * حتى
 انكسر عسكر الدولة * فولى وطلب الهرب * وتفرق جمعه وانقلب
 واغتم على باشا الهزيمة * فتجاثفه الى حصن في حالة ذميمة * ولم
 تنفعه همته ولا عزيمته * وبلغ ابراهيم باشا بأسه الشديد * ما كان
 يشتهي ويريد * ودخل الى البلاد بالنصر والتأييد * فامتلكها ونزل
 في دار السرايا * وانقادت لامره جميع الرعايا * فعامل الناس
 بلطفه المعهود * واستمال نفوسهم اليه بالعدل والجود * فاستنارت
 بقدومه المدينة * وترينت اسواقها باحسن الزينة * وصفت طربا
 انهارها السبعة * واصبحت جهتها بتشريفه مباركة الطلعة *

شعر

حاكت علاء بدور الاقوى وايتهمجت * فيه الاهاالى وقد قرت به نظرا
وزاد حسن دمشق الشام واكتسبت * نغرا بمقدمه اذ جاء منتصرا
وصفت طربا انهارها وغدا * داعى التهانى بهم اعترفت تحرا

* (الباب السابع) *

فى خروج حسين باشا من القسطنطينية * بالجيش
السلطانية والمهمات الحربية * لمحاربة
العساكر المصرية * ووصوله الى
عربستان * وانتهزاه فى
واقعتى حص وويلان

وكانت الدولة العلية * لما بلغها قدوم ابراهيم باشا الى سوريه *
واقترحه الاسا كل البحر به * عينت حسين باشا السردار
الاكرم * الذى سبق ذكره فيما تقدم * وارسلته من القسطنطينية
بالعساكر والمهمات الحربية * لقتال الجيوش المصرية *
واخراجها من الديار الشاميه * فسار بهمة وحمية * وجمعية
ستون الف مقاتل * بين فارس وراجل * منها خمسة واربعون الفا
من العساكر المنتظمة * وخمسة عشر الفا من الاتباع والخدمه *
ومعها من المدافع نحو مائة وستين * وجمعها جماعة من ضباط

الاوربيين * هذا ما عدا العساكر الاحتياطية * التي حضرت
 من ازمير بالعمارة الحربية * وعسكرت في شطوط القرمان * حتى
 اذا دعت الحاجة تأتي الى عربستان * وكان حسين باشا المرقوم *
 عند وصوله الى انطاكية وتلك التحوم * ارسل امامه طليعة من
 العساكر * الى حصن بالمهمات والذخائر * تحت قيادة البطل
 المغوار * محمد باشا البيرقدار * وعند وصوله اليها * عسكر بجانبه
 حوالىها * واجتمع عن هناك * من باشاوات الاتراك * الذين
 كانوا بالانتظار * لذلك الجيش الجرار * وأعلمهم بقدم
 السردار * الى تلك الديار * وبعيته العساكر الظافره *
 والجيش المتكاثره * فانتشرت صدورهم * واشتدت ظهورهم
 لانهم كانوا في خوف عظيم * من حرب ابراهيم * ولما بلغ ابراهيم باشا
 القائد العام * وصول هذا الجيش وهو في دمشق الشام * استعد
 لاستقباله * وحر به وقتاله * وتفرق رجاله وأبطاله * فجهز
 المهمات والمدافع * ورتب الكتاب والاطلاع * وكتب الى عباس
 باشا في الحال * يأمره ان يقوم من يعلمك بالعساكر والابطال *
 ويحدث في السير * ويوافيه الى قرية القصير * وكتب ايضا الى
 طرابلس الشام * يأمر حسن بك المنسطرلي بسرعة القيام * وان
 يلاقيه بباقي الجنود * الى المكان المعهود * ثم سار هو على الاثر
 بمن معه من العسكر * قاصدا تلك الكورة * فوصل اليها في سابع

تموز من السنة المذكورة * فالتقى بهم في ذلك المكان * وجمعهم ما
 الرجال والفرسان * فاختدوا يتحاضون ويتذاكرون * على ما هم
 عليه قازمون * وهل ينتظرون الا عدا * في تلك الليالي * ام
 يتأذرون اليهم * قبل ان يشرفوا عليهم * فاستقر الرأي على السير
 قبل وصول العدو الى القصر * وكان بينهم وبين حصن نصف مرحلة
 فيما توفي تلك المنزلة * ولما أصبح الصباح * وسطح نوره ولاح *
 اسطقت المواكب * وترتب الكتاب * وانتشرت البيارق ونفخ
 النفر * وجدت العساكر بالسير * فاستعدت حصون تأخير *
 وكان محمد باشا والى حلب * ومن معه من الباشاوات وذوي المناصب
 والرتب * لما بلغهم قدوم ابراهيم باشا اليهم * وانه عتاق قريب
 يشرف عليهم * تأهبوا للحرب * واستعدوا لاطعن والضرب * ولما
 اقترب المصريون من المدينة * ولاحت لهم عن بعد قلاعها الحصينة
 أبصر واجيوش الاعداء تخرج * في تلك السهول والمروج * فاستد
 ابراهيم باشا الاوامر * بترتيب صفوف العساكر * وبسرعة
 الاستعداد * للحرب والجلاد * فاستطقت وترتبت * واستعدت
 وتأهبت * وقد دمت فرقة من العرب الهنادى * نحو عسكر
 الاعادى * فاقامت مع طليعة الاتراك * وأخذت معها في الصدام
 والعراك * فاستظهرت عليها غاية الاستظهار * وقتلت منها

جملة أنفار * ثم انكشفت الاعلام والبنود * وظهرت العساكر
 والجنود * وهي مقبلة لاقتال * على قدم الاستعجال * وكانت
 طوابيرها متقاربة * الى أربعة صفوف منتظمة * ومرتبة على
 هيئة حسنة * بين قلب وميسرة ومخنة * أما القلب فكان مواجهها
 من امام * اطريق دمشق الشام * وأما المخنة فكانت منتشرة في
 ذلك البر الاقفر * ومحاذية لنهر العاصي من الجانب الايسر * وأما
 الميسرة فكانت مستندة لمزرعة على مسافة قريبة من النهر المذكور
 لتمنع الاعداء عن الهجوم والعبور * وكلها ثلاثون الفا من عساكر
 نظامية * وأرناوط وهزاراود الاتية * ومعها أربعون مدفعا بين
 كبير وصغير * وكانت ضباطها من الوزراء المشاهير * الذين
 اشتهروا بين الناس * بالشجاعة وقوة البأس * كعمد باشا
 البيرقدار * وباكر باشا الخزندار * ومحمد باشا والي حلب *
 وغيرهم من الباشاوات واصحاب المناصب والرتب * وأما العساكر
 المهرية فكانت مؤلفة * من عشرين الفا وأربعة وأربعين مدفعا
 من اجرام مختلفة * ومنقسمة الى ثلاثة اقسام * على أحسن ترتيب
 لوأكل نظام * وكان القسم الاول * في مقدمة الحقل * وهو مؤلف
 من الاي الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من الرجال *
 ومستقدم من العيون واليسار بالاي الثاني والخامس من الخيالة *
 وأما القسم الثاني فكان مؤلفا من ثلاث ايات * وهم الاي الحرم

والألاى الخامس والحادى عشر من المشاة * ومستند من اليمين
واليسار على نحو مائة خطوة * بالألاى الرابع والسابع من
السباهية ذوى البسالة والسطوة * وأما القسم الثالث فكان
جيش الاحتياط * وهو مؤلف من الألاى الثامن من المشاة
ومستند من اليمين واليسار بالألاى الثالث من الخيالة ذوى
الثبات والنشاط * وعلى جناحى هذا القسم من اليمين والشمال
كانت عساكر الجبل متهيئة للقتال * ولما تدانى العسكران *
وتقابل الجمعان * أمر إبراهيم باشا أفاضل الميبدان * الألاى الثانى
والثالث والرابع من الفرسان * أن يبرزوا إلى ساحة الهجاء *
و يهاجوا الجانب الأيسر من عسكر الأعداء * بحيث تصل نيران
الحرب * من اليمين واليسار والقلب * فلبوا أمره بالطوع
والامتثال * وساروا فى عاجل الحال * قاصدين أعداءهم بقلوب
كالجبال * وعند وصولهم إليهم * هجموا عليهم * وصدموهم
بقلوب أقوى من الحديد * وألقى من الجلاميد * وأطلقوا عليهم
البواريد * ثم اقتحموا صفوفهم * واختلطوا سيوفهم * وحكموها
فى أبدانهم * فخرجوهم عن مكانهم * فلما رأت عساكر الأتراك *
المقيمة بالقرب من هناك * ما أصاب أصحابهم من البلية * بادرت
بهمة وحمية * لهاجمة العساكر المصرية * فالتقاهما المصريون فى
الحال * وصدموها صدمة ترعرع الجبال * واشتعلت بينهم نيران

الحرب * واختلاف الطعن والضرب * واشتداد البلاء والمكرب *
 وهناك كل أمر صعب * وعندنا شاهد ابراهيم باشا تلك الحركة *
 وهو بالقرب من ساحة المعركة * أمر أحد قواد العسكر * ان يسير
 بالفقار من على الاثر * ويقصد ذلك المكان المعهود * لبعضهم
 له فيه من الجنود * وأسند من اليه نصف من الطوبخانة * ومن
 اليسار بالاولى الثاني عشر من المشاة وبقريتين من الششخانة *
 * فامتل وسار * كالسهم الطيار * وعند وصوله الى هناك
 انعطف على سقف الاتراك * وأخذ معها في الشمال والعرال * ثم
 تقدم باقي الجيوش المصرية * حتى اقتربوا من العساكر العثمانية
 وانفصل الاى الحادى عشر * من مشاة العسكر * وانضم الى
 الاى السادس والسابع من الفرسان * وقصدوا بمنة العدو ومن
 غير مدقولاتوان * فعبروا النهر * عند العصر * وانتشروا على
 شاطئه اليسر * غير مبالين بالخطر * أملا بالنصر والظفر * وبلوغ
 القصد والوطر * ولما رأى محمد باشا تلك الهيئة متجهة نحو جناحه
 الايمن * عزم على دفعها وملاقاة الامر بالتي هي أحسن * فأمر أحد
 القواد * ان يتقدم بطابورين من الأخناده * ويهاجم عسكر
 المصرين * من جانب اليمين * فبادر بالعجل * وانعطف نحوهم
 وحمل * فالتفت به المصريون من الجهة اليسرى * وأقاموا عليه
 القيامة الكبرى * وكان قائد هذه الواقعة * وموقد نار تلك المعركة *

البطل الهمام * وليث الوغى في معارك الصدام * من تيب لذه
 جيوش العدى وتلاشى * ابراهيم باشا * فبذل بشدة عزمه المجهود
 وقوى به ماته قلوب الجنود * لعله بان أمر النصر متوقف عليه *
 وتدير الحرب راجع اليه * فله دره من أسد كرار * وبطل قهار
 فانه سطا سطوة جبار * وألقى نفسه في مواقف الاخطار * وفعل
 فعلا تدهش الابصار * وتخير العقول والافكار * فلور آه الاسكندر
 أو أبو الفوارس عتر * في ذلك اليوم المنكر * وهو يخوض معركة
 القتال * من اليمن والشمال * ويرى بحسامه جماجم الابطال *
 تعلمنا منه فنون الحرب * ومواقع الطعن والضرب * أوزيد الخيل
 وعامر بن الطويل * لا تذهلا واندهشا * وخافا ذارت عشا * وقبلا
 رجله في الركب * وذلا بعد ما خضعت اهما الرأس والرقاب *

شعر

فرم تذيب العدى رعبا ما بهاته * اذا انتضى يوم حرب صار ما ذكرنا
 قاد المنايا له جيشا وكر على * جيش الاعادى بطعن يسبق القدرنا
 وما زالوا في قتال واشتباك * حتى ترعرعت فرقة الاتراك * من هول
 الصدام وشدة العراك * فنكصت الى الوراء * وطابت جوانب
 الصرراء * فلما رأى محمد باشا تلك العبر * وان ذلك القائد قد
 انكسر * خاف من الهزيمة * التي عاقبتها ذميمة * فأمر محمد باشا
 الكريدى وكان من الشجعان * ان يتقدم بالايمن من الفرسان *

و يقتحم مواكب الاعداء من الجانب الايسر * بينما يجمعهم
عليهم بقلب العسكر * من الطرف الآخر * فيأخذونهم من
الجانبين * ويحصرهم بين النارين * فامتثل ما أمر * وحمل هو
بقاى الزمر * فادرك ابراهيم باشا بقراسته وذ كانه * حركة جيش
اعدائه * لانه كان سر يع الادراك صادق النظر * يرمى الراى
بسرعة تحاكي ابحر البصر * ولما علم ذلك تحول هيئة المعركة * على
الصورة الموافقة لدفع تلك الحركة * فأرسل فرقة مع حسن بك
المنبسط لى * لمقابلته محمد باشا الكريدى * واذ عطف هو بقاى
العسكر * على جيش محمد باشا القائد الاكبر * وفى الحال * اتهم
القتال * واتسع بين الفريقين المجال * وارتجت السهول والتلال
من ضجيج الابطال * وأصوات البارود التى كادت ترتفع الجبال
فكانت ساعة تقشعر منها الجلود * ونشيب من هواها الاطقال فى
المهود * زلزلت الارض فيها زلاها * وأظهرت القيامة أهواها
وأبصرت الابطال ماراءها رهاها * لما كنت ترى الافرسانا
مشتبهكة * ووصفوا محتبكه * ودماء منسفة * ونحو لا غائره *
وأعضاء متناثرة * ورؤسا طائره * ومازال التالكافحة بينهم قائمه *
ونار البارود متصلة دائمه * نخوار بع ساعات من النهار * وهم فى
قتال أشد من لهيب النار * وكانت قد كلب جوع محمد باشا *
وانحسل عزمها وتلاشى * وزادها الخوف رعبا رعبا *

فتقهقرت فرسانها وترعرعت * واختل عقد نظامها وتضعفت
ويشت من بلوغ الارب * وأيقنت بالاهلال والاعطاب * ونعى فوق
رؤسها ناعى الويل والحرب * فلم يعد يحكمها الا مطمار * ولم تجد
سيلاها الا الفرار * فالت راياتها ويارقها * ونكست
اعلامها وسناجقها * وانهرمت على اعقابها * وتركت جميع
ذخايرها واسلحتها * وتفرقت في عرض الفلاة * وهي لا تصدق
بالنجاه * خوفا مما أصابها ودهاها * وقد تخضبت الارض بدماءها
وامتلأت ببحث قتلاها * وتبعها المهر يون على الاثر * وكالمهم
تساقط في ألقمها كالطير * وكان قد قتل منها على ما قيل * أوفى من
أربعة آلاف قتيل * ومن المصربين * نحو خمسة مائة وخمسين *
وولى محمد باشا هاربا * وللخجاة طالبا * فاصددا مدنية حلب
الشهباء * وتبعه أكثر القواد والوزراء * ما عدا محمد باشا البيرقدار
فأهوى الادبار * وفرط طالبا حسنين باشا السردار * ليهلله بتلك
الكسرة * ويطلب منه النجدة والنصرة * وهو لا يصدق بالنجاه
خوفا مما دهاه * ومن شدة ما حصل عنده من الهول العظيم *
كان كئيبا ما يلتفت وراءه خوفا من هجوم الغريم * ويقول
هي كدى أصلا ن ابراهيم * واستحوذ ابراهيم باشا على مهماته
وذخائره * وفرق غنائمه على ضباطه وعساكره * واستولى على
حصن وحماه * وأقام فيهما الحكم والولاء * وكان قد وقع في يده

* فان من الاسارى * بين عساكر نظامية وارناوط وهوارا *
 فاعطاهم الامان * وعاملهم بالرفق والاحسان * وادخلهم بين
 جنوده المصريين * وعين لكل واحد منهم جامكيه * وكتب الى اميه
 بمصر * يخبره بهذا النصر * وكان حسين باشا السردار الاكرم *
 قد خرج من انطاكية بال جيش العزم * طالب احص وجاه
 وهو يحدد في قطع الفلاة * وفي اثناء الطريق بلغته تلك الاخبار
 وما حصل بعسكره من الويل والدمار * فزاد به الغيظ والحلق *
 واضطرب فواده وخفق * وتأسف على ما جرى * وارتد راجعا الى
 الورا * ليجمع شمل العساكر القادمة * وبأخذ لنفسه
 الاحتياطات اللازمة * ومارات العساكر في انكسارها * ساعة
 وراء وزيرها وسردارها * وفي مقدمتها محمد باشا البيرقدار * وهو
 لا يعرف الليل من النهار * حتى اتقى بحسن باشا المشار اليه
 فتقدم وسلم عليه * ومثل بين يديه * وحدثه بذلك الخبر * وما حكم به
 قلم القضاء والقدر * من انكسار جنوده * وتنكيس اعلامه
 وبنوده * فظهرت على وجهه علامات الغضب * وارتبك في امره
 واضطرب * ومن شدة ما اعتراه * رفعه برجله فاقام على قفاه *
 بعد ان شتمه وأهانته * ونزع عنه سيفه ونيشانه * ثم طرده من
 أمامه * ووكل به بعض خدامه * فخرج من بين يديه * وهو يتقص
 غبار الموت عن منكبيه * وحسب تلك الاهانة سعاده له وافتخارا

لانه كان قد شاهد المنيعة جواراً * وما زال حسين باشا يقطع البيداء
 وهو في غيظ شديد * وغم ما عليه فريد * حتى وصل الى جسر الحديد
 وهو مكان واسع الجنبات * يبعد عن انطاكية اربع ساعات
 وهذا الشمر ساعد العزيز * وجمع ما تشنت من جنوده بعد تلك
 الهزيمة * ثم توجه زوار تحمل * وسار على عجل * فاصدأ مدينة حلب
 وفي قلبه حر الاله * من شدة الغيظ والغضب * فالتقى بواليه اقرب
 المدينة * وهو في حالة خرس * فاعلمه محمد باشا بواقعة الحال * وما
 اسباب عسكره من النكال * فازداد خفياً على حلق * وقلعاً على
 قلق * وعند وصوله الى حلب الشهباء * عقد مجلساً حريماً مع الاعيان
 والعلماء * وبعد جلسة طويلة * ومذاكرات طويلة * طلب منهم
 ان يمدوه بالخار والعدد * ويقدموا له عسكراً من أبناء البلد
 فلم يوافقوه على ذلك أحد * من المشايخ وكبار العمد * لان نفوسهم
 كانت غير مائلة اليه * ولا مؤهلة لحصول النصر على يديه * بل
 كانوا يحاولون الخروج من قبضة الدولة العلية * والدخول تحت
 طاعة الحكومة الحديثة * فلما يئس من النجدة والمعونه * عزم
 على السير الى الاسكندرونه * ليقوم فيها الخواجز والقتال *
 ويجعلها حصن الوقاية والدفاع * نظراً لحسن مراكزها الطبيعية
 ولكونها من الاساس كل البحر * ومما يستحق الاعتبار * ان
 هذا السردار * كان قد اجتمع مع قنصل فرنسا في ذلك النهار *

فأخذ يجادته بالكلام * ويسأله عن حواصل بر الشام * وعن أسعار
 الحرير * والحنطة والشعير * وغير ذلك من المسائل * التي ليس
 تحتها طائل * وبعد أن تناول معه الطعام * خرج إلى المضارب
 والخيام * وبات تلك الليلة في المعسكر * وهو في خوف وحذر
 وقلق وضجر * وعند طلوع النهار * بلغته الأخبار * بقرب وصول
 ذلك الجبار * والليت الباسل القهار * إبراهيم باشا فارس الاقطار
 إلى تلك الديار * فخفق قلبه وخاف * ولم يعد يمكنه إلا الانصراف
 والرحيل من تلك الأطراف * فقسم جيشه إلى قسمين * وأرسله إلى
 الاسكندرونة على طريقين * الأول سار على طريق كاس وويلان
 وسار هو في الثاني بما في الجيش والفرسان * فاصدا تلك الناحية
 على طريق أنطاكية * وتبعه إلى حلب وإلى دمشق الشام
 وجميع الباشاوات الفخام * وعند وصوله إلى الاسكندرونة أقام
 فيها * وتخيّم بجيشه في نواحيها * وهذا ما كان من أمر الصردار
 الأكرم * وأما إبراهيم باشا الأسد الغشيم * فإنه بعد أن انتصر
 وغلب * وبلغ من عدوه القصد والارب * سار طاماً مدينة حلب
 على طريق تل السلطان * ومعركة النعمان * وكان وصوله إليها
 بالأسكر * في اليوم الثامن عشر * من شهر صفر * سنة ١٢٤٨
 هجرية * الموافقة لسبعة عشر تموز سنة ١٨٣٢ * مسجبة * وذلك
 بعد خروج حسين * من المدينة يومين * فاستقبله أهلها بالترحيب

والتفخيم * ودخلها بعبوكب عظيم * وكان أول من ورد إليه للتهنئة
 والسلام * قنصل الدول العظام * ثم جاء القاضي والمفتي وأعيان
 البلد * وباقي الوجوه والعلماء * الذين عليهم المعتمد * فدخلوا وسلموا
 عليه * وألقوا أزياءهم ورهقهم بين يديه * فأعطاهم الأمان وعاملهم
 بالحلم والرفق * وأحسن إليهم كما أحسن إلى أهل دمشق * وفي أيام
 قلائل * وردت إليه الكتب والرسائل * من ولاية الأقطار *
 وحكام المدن والأحصار * التي في ذلك الجوار * يهتفون بذلك
 الانتصار * ويلتمسون من حضرته * الدخول في حامي دولته *
 فشكرهم على ذلك الكلام * وبلغهم غاية القصد والمرام * وبعد
 أن نظم أحكام المدينة * على أحسن الأساسات المتينة * وأذعنت
 لطاعته جميع الولايات * الكائنة في تلك الجهات * كديار بكر
 ونواحيها * وأورفا وما يليها * نصبهم الولاة والمسلمين * من
 خواص قواده المشهورين * لتقوم بأشغالها * وتدير أعمالها * ثم
 تجهز للارتحال * ونهض بالرجال والأبطال * للقضاء حسنين باشا
 وقتاله * مستعيناً بالله على حربه ونزاله * قاصداً إلى سكندرونة على
 طريق قرية ميلان * حيث لم يكن له طريق آخر إلا من ذلك المكان
 وكان خروجه من حلب بالعسكر * في اليوم السابع والعشرين
 من صفر * فوصل إلى حضيض ميلان بالحقول * في اليوم الثاني من
 ربيع الأول * وهي قرية جميلة البنيان * رفيعة الجدران * مبنية

على ذروة جبل شامخ * تبعد عن الاسكندرية نحو ثلاثة فراسخ
 فتجمعت العساكر في تلك الناحية * وانتشرت في السهل الواقع
 شمالي طريق كاس واظا كيه * وهذان الطريقان * يلتقيان
 عند خضيب سيلان * ومن هناك يصبح الطريق واحد * للطارق
 والوافد * وهو ضيق الجبال * على الخيل والرجال * وكان حسين باشا
 عند ضرره بيلان * أقام فيها سبعة عشر الفا من الرجال والفرسان
 ليقطع على المصريين منافذ طريقها * باقامة الحواجز عند باب
 مضيقها * بحيث كان يستطيع بالاف مقاتل * أن يدفع عشرين
 ألف بطل بأسل * بالنسبة الى مركزها الشاهق * ومجال مسلكها
 المتضائق * قاما أقبل ابراهيم باشا اليها * وأشرف بحيث عليها
 وجدها مشجونة * بالعساكر والمؤنه * فبادر الى الحرب * واستعد
 للطعن والضرب * فقسم جيشه الى أربعة اقسام * وأقام كل قسم في
 مقام * ورتب صفوف طواريه * محكمة على جيوش أعاديه * وكان
 قلب جيش الاتراك * ضابطا رأس المضيق على تل هناك * وهو
 ممتد ومنتشر * على شكل خط من ~~كسر~~ * وموزع على ثلاثة
 باشوات ومؤلف من عدة طواريه والايات * ممتدة من أسفل
 الطريق * الى رأس المضيق * ومن الجانب الايمن واليسر *
 كانت الطوبجية وباقي العسكر * ولما اختبر ابراهيم باشا مراكز
 الجيوش العثمانية * وعرف حركاتهم الحربية * أمر الاي

الثامن والثامن عشر من الرجال * والاي الحرس ذوي السطوة
 والباله * ان يسيروا عن طريق كاس بالعجل * ويصعدوا الى
 ذروة الجبل * ويجمعوا على مسيرة العدو * من غير توان ولا هذو
 قلبوا امره السامي المطاع * وساروا على قدم الاسراع * قاصدين
 اعداءهم كضواري السباع * ثم تقدم بهم على الاثر * بأمر
 القائد الاكبر * الا لاي الثالث عشر * من مشاة العسكر * تحت
 قيادة الشجاع المشهور * والفارس المذكور * صاحب القدر العلي
 حسن بك المنطري * فسار كالبرق مسرعا * وبعيته اثنا عشر
 مدفعا * قاصدا ساحة الهجاء * والهجوم على مينة الاعداء * من
 الجهة الثانية * المعروفة بطريق انطاكية * وكان ابراهيم باشا
 اميت الطراد * وسيف الجهاد * قد اقام عن يمين و يسار قم الواد *
 فرقام خيالة الاجناد * اتعضد العساكر اذا طفروا * وترد العدو
 عنهم اذا انكسروا * واستوى هو بنفسه لهم قائدا * ومراقبا
 حر كاتهم ومساعد * الممارات العساكر السلطانية * تقدم
 الجيوش المصرية * وهي صاعدة اليها * ومشرقة عليها * من
 اليمين والشمال * كانوا اسود الدمال * اطلقت عليها المدافع من
 الجانبين * المحكمة على الطريقين المذكورين * فعند ذلك امر
 ابراهيم باشا فارس الوقائع * وليث المعامع * يوم العساكر
 والطلاق المدافع * فاطلقت المدافع والباريد * وتسابقت

العساكر الى الحرب يعاوب أقوى من الحديد * فاشتبك من الجانبين
 القتال * واسطد دمت الرجال بالرجال * وارتفع العجاج وعظمت
 الاهوال * وسالت الدماء في ميدان التزال * وماجت الخيل بركابها
 كما يوج البحر اذ العبت به ريح الشمال * وكانت لهم ساعة من
 ساعات القيامة * قد امتلأت من الاهوال وخلفت من السلامة
 لان أصوات المدافع وتجيح الابطال * كان يطبق الاودية والجبال
 وضرب السيف وطعن النصال * كان يذهل العقول ويشيب
 الاطفال * وما زالوا في الكفاح والجهاد * والتزال والطراد * حتى
 أمسى المسكان * كأنه محاط بمائة بركان * تنفذ منها النيران
 والدخان * وكانت من ابتداء الموقعة * نيران القرين غير منقطعة
 غير أن المصريين كانوا في الحرب أكثر انتظاما * وأخف حركة
 وأشد التحاما * فكانت سرعتهم في اطلاق البنادق والمدافع *
 تسبق وميض البرق اللامع * وكان كل فرد منهم على التقرير
 والتعديل * يقاتل أربعين الاثرأ على القليل * لانهم كانوا قد
 واظبوا ميدان الحرب ودرسوه * واكتسبوا منه علماء ما رسوه
 ومع ذلك لا يبالون بالبلاء * ولا يهابون كثرة الاعداء * بل فضلوا ان
 يموتوا امام قائدهم البطل * على ان يرجعوا بالخيبة والقتل *
 واستمر القتال من العصر الى بعد غروب الشمس * وكانت قد

كانت جيوش الاتراك وقتل منها أوفى من ثلاثة آلاف نفس * فعند
 ذلك اختل نظامها * وترعزت عن المقام أقدامها * فمزقت
 صفوفها كل عجز * وثشتت شملها وتفرق * وولت على أديارها
 نفورا * وكان أمر الله قدرا مقدورا * ولم يبق من المصر بين غير
 اربعمائة وعشرين * واستولى المصر يون على مهماتها *
 ومدافعها وذخائرها وجناناتها * وباتوا في تلك الديار * شاكرين
 لله على هذا الانتصار * وعند طلوع النهار * أرسل ابراهيم باشا
 فارس الاقطار * عباس باشا الى الاسكندرونة في ستة آلاف بطل
 كرار * ليقتفي أثر حسين باشا السردار * ومن معه من الاعوان
 والانتصار * واتفق ان حسين باشا قبل ان تصل اليه اخبار الهزيمة
 كان موجودا في دار موسي ومارتيلي قنصل دولة فرانسا الفخيمة *
 فبينما هو يتناول الطعام * ويتذاكر في أمر الحرب والصدام
 اذ بلغه هذا الخبر * وما حل بعسكره من العبر * فاستعظم المصائب
 وخرج عن دائرة الصواب * فنهض في عاجل الحال * وسار
 الرجال والابطال * طالبا الهزيمة والفرار * خوفا من الهلاك
 والدمار * وعند وصول عباس باشا الى البلد * وجدته مشحونا
 بالذخائر والعدد * فبادر اليها * وحجز عليها * ثم خلق من هناك
 بجيوش الاتراك * فاسر منهم عسكرا وافرا * وعاد غانما ظافرا
 وكان حسين باشا قد أسرع في الهزيمة * الى ان وصل الى قونية بعد

مشقة عظيمة * وخاف جسيمه * واما ابراهيم باشا اسد الاساد
وسيف الجهاد * فبعد أن بلغ الارب * ونال غاية القصد والطب
عاد راجعا الى حلب * بعد ان كتب الى أمه من بيلان * يعلمه بما جرى
وكان * وفي تلك الاثناء التقت العمارة المصرية بعمارة السلطان
ببر جزيرة رودس وشواطئ القرمان * فصار عثمان بك ثور الدين
قائد العمارة المصرية * بطارد خليل باشا قائد العمارة العثمانية
من دون ان يحاربه * أو يحاجه ويضاربه * ولاكنه اكتفى
بحصره في خليج مرمريس * وكان ذلك على خليل باشا أعظم
انكيس

* (الباب الثامن) *

حرب قونية

فلما بلغ الدولة العلية * تقدم العساكر المصرية * وانكسار
يوش السلطانية * اضطربت قلقا * واستشاطت غيظا وحذقا
وعزلت حسين باشا السر دارا لكرم * وعينت محمد رشيد باشا
المصدر الأعظم * ليسير الى ذلك الطرف * ويستدرك ما سلف
قبل أن يعظم الامر ويشتد * وينفتح عليه باب لا يسد * وكان هذا
الوزير * من الافراد المشاهير * موصوفا بحسن الرأي والتدبير *
وموثوقه في التقديم والتأخير * فأخذ من يومه في الاستعداد *

وكتب الى قواد البلاد * يأمرهم بتجهيز العساكر والاجناد *
 فتبادرت الجيوش اليه * وتابعت من كل جانب عليه * هذا
 ما كان من أمر الدولة * وأما ابراهيم باشا صاحب الشوكة والصوله
 فانه بعد هذا الانتصار * مازال ساهرا آتاء الليل والطراف النهار *
 لجهة تثبيت فتوحاته في تلك الديار * التي نالها بسيفه البتار * وبينما
 كانت الدولة اعليه * منهمكة في الاستعدادات الحربية * كان هو
 أيضا آخذا في التقدم نحو القسطنطينية * وفي اليوم الخامس عشر
 من ربيع الاول والحادي عشر من آب من السنة المذكورة * سار
 من حلب الى أدنه بالعساكر المنصورة * وكانت قد سملت له مع كل
 قضائها * نفيم بجيشه حول أرجائها * منتظرا الاوامر الخديوية
 وما صممت عليه الدولة العثمانية * اما السلام والمصالحة * واما
 للحرب والمكافئة * وكان جناب الخديو الاعظم * بعد ان انتصرت
 اعلامه في المعركتين الاخيرتين كما تقدم * لم يستول عليه التعاطف
 والافتخار * ولم تأخذه عزة الفوز والانتصار * على مداومة القتال
 والتزاع والجدال * بل كان يود بت الخلاف وحسم الفتن * وتلافيتها
 بالتي هي احسن * والاقتناع بما فتحه سيفه البتار * وساعده
 عليه يد الاقدار * مع انه كان قادرا * بعد ان كسر جيشا وافرا
 ان يتقدم مغتتما فرصة انتصاره * وضعف قوة عدوه وانكساره
 بعد واقعتهن هاتئتين * وهزيمتهن متواليتين * على افتتاح

الفـطـنـيـنـيـه * والاسـتـيـلاـءـ عـلـى تـحـت السـلـطـنـة العـثـمـانـيـه *
 وـلـكـنـه كـمـا تـقـدـم الـكـلام * كان يـؤـثـر الصـلـح والـسـلام * عـلـى الفـزاع
 والـخـصـام * والـحـرب والـعـدام * وـكـان يـؤـمـل ان فـوز اسـلـحـته وانتـصار
 اـيـطـالـه * يـحـمـل الـدـولـة ان تـسـكـف عـن حـر به و قـتـالـه * وـاـيـكـن الـدـولـة
 بـعـد و اقـتـى حـصـ و بـيـلان * لـم تـطـلـب عـقـد الصـلـح أو فـخـ الخـابـرة بـهـذا
 الشـان * بـل كـانـت آخـذـة فـي الـاسـتـعـدـادـات * و تـجـهـز الـعـسا كـر
 والمـهـمـات * طـلـبـا لـا خـذ الـثـار * و طـمـعـا فـي الفـوز والانتـصار * و أـمـا
 الخـديـو والمـشـار ايـه * فـلـمـاعـ لم يـتـجـهـز الـدـولـة و ما صـهـمـت عـلـيـه
 لـم يـجـد يـد اـمـن مـداوـمـة القـتـال * و تـقـو يـض الـامـر الـى حـكـم حـدود
 النـصـال * و بـيـنـمـا كان الـصـدر الـاعـظـم و باقـى رؤـسـاء الدـوائـر *
 يـنـظـرون تـدبـير الحـيـوش و تـجـهـز الـعـسا كـر * و ارـسـالـها الـى قـوـنـيـه
 بـالمـهـمـات و الذـخـائر * كان ابراهيم باشا عـالـمـا بـتـجـهـز الـعـسا كـر * و عـارـفا
 بـحـقـيـقـة حـر كـاتـهم * و كـانـت مـدـيـنة أـدـنـه الـتى أـقام فـيـها * و عـسـكـر فـي
 نـواحـيـها * ثـمـكى بـحـمـى بـلـاد سـورـيـه * مـن مـهـاجـمـة العـسا كـر العـثـمـانـيـه
 لـا تـصـلـح لـقـيـام حـركـة حـريـه * بـالنـسـبـة لـرا كـزها الطـبـيـعـيـه * فـاصـح
 مـضـطـر الـا مـا أن يـتـقـهـقـر * بـالجـيـش والعـسـكـر * و يـسـتـنـد الـى مـكان
 آخـر * أو أن يـتـوـغـل الـى قـدام * و يـوـاظـب عـلـى الحـرب و الـعـدام
 أـمـا رـجـوعـه القـهـقـرى * و ارـتـدادـه الـى الـورا * فـلـم يـكـن لـا ثـقـا بـر فـيـع
 مـقـامـه * بـعـد ذلـك النـصـر الـذـى نـالـه بـحـسـامـه * و أـمـا تـوـغـلـه فـي تـلك

الابداء * واقتحامه مواكب الاعداء * وهو في عدد يسير * وهم في
 جم غفير * كان أمرا مخظرا * ولو كان اذذاك منتصرا * واذا كان
 لا يسعه ان يرجع و يعود * ولا ان يقيم في تلك الحدود * صمم على
 التقدم نحو العاصمة * وملاقاة الجنود القادمة * واستخار الله رب
 العباد * على صدق الجهاد * وكانت الحضرة الخديوية * لما بلغها
 شجيرات الدولة العلية * الحاربة في القسطنطينية * وبقر بخرق
 الصدر الاعظم * بذلك الجيش العرمرم * لم تجد بدا من مداومة
 القتال * لئلا ينتهي الحال * ويرتفع النزاع والجهد * اما بالانتصار
 التام * او بالنكسار والانهزام * فارسلت الاوامر والمراسم
 الى ولدها ابراهيم * ان يرحل من تلك البلاد * ويتقدم نحو قونية
 بالعساكر والاجناد * ويباشر الحرب والجلاد * وكان جناب
 المشار اليه * قبل ورود هذه الاوامر عليه * مستعدا للرحيل
 والقيام * والتقدم الى امام * كما تقدم الكلام * واذا كان لا يمكنه
 تخليته البلد * خوفا من سطوة العدو اذا وفد * أقام عباس باشا فيه
 لحفظه ويحميه * و بعد ذلك تجهز وارتحل * في السابع عشر من
 جمادى الاولى * قاصدا مدينة قونية على عجل * بعد ان ارسل جيش
 الباشا برفق وبعض الفرسان * عن طريق منارة خان * وسار هو
 بياقي العسكر * من طريق آخر * ولما بلغ شطوط القرمان * التقى
 بعثمان بك ثور الدين الذي كان بعد أن طارد عمارة السلطان * كما

ذكرنا قبل الآن * وحصرها في خليج مصر مريس أياما * تخلصت ولم
 يبلغ منها مراما * سوى فرقاطتين وكوتروا برهين * فنظر اليه بعين
 الاحتقار * وقال له ألا تعلم ان تضيق فرصة الانتصار * هي عندي
 من أعظم الذنوب الكبار * وأنت قد قصرت في خدمتك * وتوانيت
 في تنفيذ أوامري نعمتك * الأمر الذي منه قد تسكذرت * أكثر
 مما لو حارببت أنت وانكسرت * وانني لولا اعتبار حرمة ولي النعم
 بجناب والدي المعظم * انزعجت عنك السيف والنيشان * وطردتك
 الى أبعد مكان * ثم انه بعد هذا الكلام * والتو ببح والملام * سار
 بالعساكر والجنود * حتى وصل الى قرية عمرو * نفخ في تلك
 الحدود * وكان قد أرسل سرية * من الجيوش النظامية *
 فاستولت على بونغاز كوك * وهو معبر عن المسالك * وباقتراح هذا
 المضيق * تسهل للمصريين الطريق * ولم يبق عليهم سوى واد آخر
 أصعب من الاول وأعسر * فبعث ابراهيم باشا طابورين من
 العسكر * لاقتراح ذلك المعبر * تحت قيادة سليم بك حجازي
 وابراهيم أغا الجوخدار * وكانا من ذوي الشجاعة والافتدال
 ولما اقتربوا من قم الوادي * التفتهم عساكر الاعادي * وكانوا نحو
 ثلاثة آلاف * قد كمنوا في تلك الاطراف * ليمنعوا المصريين عن
 العبور * من ذلك المكان المذكور * فبادر المصريون اليهم
 ونزلوا نزول القضاء المبرم عليهم * وألهبوهم بضرب الرصاص

وسدوا عليهم طرق الخلاص * ولم تكن غير ساعة من الزمان
حتى أبلوهم بالويل والهوان * وشقتهم في الجبال والوديان *
واستولوا على ذلك المكان * وبينما كان المصريون منتصرين في
هذه الناحية * كانت فرقة أخرى قد انتصرت في جهة ثانية *
يقال لها أولوقش * انفضل فيها العدو وأعظم فشله * ولما بلغ
إبراهيم باشا هذا الخبر * نهض على الأثر * مع باقي العسكر *
وسار على عجل * حتى قطع ذلك الجبل * فخيم في سهل هناك * كانت
قد أخذت جيوش الأتراك * فاستقبله أهل تلك الديار * وولاة
هاتيك الأقطار * بالفرح والاستبشار * وهنئوه بذلك الفوز
والانتصار * فأعطاهم الأمان * وعاملهم بالرفق والاحسان * وفي
اليوم الثالث من تشرين الثاني * توجه من قبل الدولة بالجيش
العثماني * جناب دستورها الأكرم * محمد رشيد باشا المصدر
الاعظم * فنزل المرحلة الأولى في أسكودار * ثم وجهه عسكره
نحو قونية وسار * وبعد خروجه بخمسة أيام * صدرت من إبراهيم
باشا الأوامر والأعلام * إلى جيشه بأخذ الاستعدادات * والمسير
إلى قونية لإقامة الحرب والعداء * فأجاب وامتثل * واستعد وسار
بالعجل * ثم نهض إبراهيم باشا وأرتحل * ولما اقترب من تلك الديار
انصلت إليه الأخبار * بأن أمين رؤوف باشا معاون حرب المصدر
الاعظم * وزعيم الجيوش التي كانت في قونية وقائدها المكرم

قد أخذ في المدينة وجد في المسير * قاصدا التحصن في أقشهير * فلما
 علم بهذا الخبر * فرح واستبشر * فسبق الجيش والعسكر *
 وقصد قوته على الأثر * فوصل اليها اليل في اليوم السابع عشر من
 الشهر المذكور * ودخلها دون حرب دخول الظافر المنصور
 فنزل في دار الولاية * وأخذ بإجراء ما تقتضيه الحكمة والدراسة
 فأمر بتحصين المدينة * وتحويلها بالحوالين المتينة * اذ لم يكن
 قد أخلاها الأتراك * الا لكونها لا تصلح لأقامة الحراب والعراب
 ولما وصل الصدر الأعظم الى أقشهير * ورد اليه أمر الدولة ان
 يأخذ بحسن الحزم والتدبير * ويفتخر الفرصة المناسبة * لأقامة
 المكافأة والمجاريه * وكان ابراهيم باشا فارس الميدان * وليت
 الحرب والطعان * قد وجهه محمد بك بفرقة من المشاة والفرسان
 ليأخذ له سرا كز في قيصرية * ويراقب حركة الجيوش العثمانية
 وكتب الى ابراهيم باشا الصغير * الشجاع الشهير * ان يلبي الطلب
 ويخرج من حلب * بفرقة من الأبطال * ومشاة الرجال * وعمر
 بعين تاب * ويقع في شمالي مرعش وتلك الرحاب * للسطوة
 والارهاب * وهكذا به هذه الحركة الحربية * وفي جناحي عسكره
 وحفظ أيضا طرسوريه * ولكن أخفى جيشه العامل عددا
 يسيرا * أمام عدوه الذي كان جماعة غفيرا * فكان أمامه حينئذ جيش
 عظيم مستند الى العاصمة * ووراءه سور به مفتوحة جديد وليس

فيها ثورة تكفي لحفظها من المهاجمه * وعلى عيینه عثمان باشا والى
 طرابزون و سواس بجبهه وروافر * وعلى يساره سليمان باشا فى
 اضاليل فى عشرة آلاف من العساكر * وفى اليوم السادس
 والعشرين من رجب * استعد الصدر الاعظم للحرب وتأهب
 فأمر وافي باشا ان يسير من غريتون ولاهدق * و ينزل على قرية
 سلج ثمانية آلاف من الارناؤط و يقاتل العدو * فاجاب وامتثل
 ونهض على عمل * وكان ابراهيم باشا قد جعل فيها * نحو ألفي نفر
 لتحميها وتقيها * وسار الصدر الاعظم فى طريق آخر * يهاجى
 الجيش والعسكر * وأما ابراهيم باشا لى المعارك * فحينما علم
 بذلك * سار بفرقة من المشاة والابطال * قاصدا قرية سلج على
 قدم الاستبحال * ليعضد من كان له فيها من الرجال * وعند وصوله
 الى هناك * التقى بجيش الاتراك * وكان ذلك النهار * كثير
 الملوح والامطار * ولما وقعت العين على العين * اشتبكت الحرب
 بين الفريقين * فحالت الارناؤط ساعة حتى ولوا الادبار *
 وركنوا الى الهزيمة وافرار * وتشتتوا فى تلك الاقطار * بين
 الروابي والقفار * فغنم منهم المصريون خمسة مدافع ومن الخيل
 عددا كثيرا * وثمانية يارق وخمسمائة وعشر بن اسيرا * وفى
 اليوم الثانى * بلغ ابراهيم باشا ان قسما من الجيش العثمانى *

يف من سبعة آلاف عنان * نازل في طقوز لونغان * بالقرب من ذلك
 المكان * فتأهب للحرب والطعان * وقصد هدم من غير توان *
 بالايين من القرسان * وعند وصوله اليهم * أطلق المدافع عليهم
 فما لبثوا ان وقعوا في الشنات * وتفرقوا في البراري والقلوات *
 ورجع نظام منتصرا * بعد أن أسر منهم مائة وخمسين نفرا * فدخل
 المدينة بركب عظيم * وعند دخوله سلم له نحو مائة من الرناوط
 تلك الاقاليم * وطلبوا أن يشملهم بنظره * وليستخدمهم بين
 جنوده وعسكره * فتحقق بفراستهم منهم سلامة الطوية *
 وارسالهم لينضموا الى فرقة محمد بك في قيصريه * وفي الغد بلغ
 ابراهيم باشا أن الصدر الاعظم * قد سارقاصده من لاريك بالحيش
 العرمرم * وهي بلدة في تلك الجهات * تبعه عن قونية ثماني
 ساعات * فوزع في الحال الاوامر على القواد * بان يكونوا في اليوم
 الثاني مستعدين للحرب والجلاد * وفي الصباح ورد اليه الخبر * بان
 الصدر الاعظم قد اقترب بالعسكر * فأخذ في الاستعداد للحرب
 والكفاح * وأمر عسكره بحمل السلاح * فاستعد العسكر كما
 أمر * ووطن نفسه على الموت أو الظفر * وكان ذلك يوم الجمعة
 الواقع في التاسع والعشرين من رجب سنة ١٢٤٨ هجرية
 الموافقة للحادي والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٨٣٢
 مسجده * فكان يوما كثيرا الغيوم والضباب * بحيث كانت كثافة

الصحاب * تمنع أحد الجيشين من ان يرى الآخر وهم في غاية الاقتراب
 فقسم ابراهيم باشا عسكره الى عدة أقسام * وأقام كل قسم في
 مقام * فجعل الاى الثالث عشر والثامن عشر * الذين لايم ابون
 الموت ولا يخافون من الخطر * على الخط الاول * من يمين الخقل
 تحت قيادة صاحب القدر العلى * سليم بك المنس طرلى * وعلى
 مسافة نحو خمسمائة قدم من هذا الخط * جعل سليمان باشا
 الفرندى البارع بحركات الحرب بالحزم والضبط * ومعه
 الاى الثانى عشر والرابع عشر * منتظمين على هيئة ترجح اهام
 الفوز والظفر * وجعل سليم بك حجازى فى القلب * ومعه صفوفه
 المزدوجة متأهبة لاضرار نار الحرب * وأقام للحرس عن يمينه
 وشماله على نحو مائة وخمسين خطوة * فرقتين من الخيالة ذوى
 البسالة والسطوة * وكل واحدة من الفرقتين * مؤلفة من الابين
 احدهما تحت قيادة أحمد باشا المنسكى * والاخرى تحت لواء
 أحمد بك الاسلامبولى * وجعل أمام الخط الاول * من مركز
 الخقل * ثلاث طوابى من الطوبجية * الذين لهم معرفة بالامور
 الحربية * وكذلك قدم من الطوبجية طابقتين * وجعلهما امام
 الصف الثانى ثابتتين * حيث كانتا مائلتين نحو القلب * قادرتين
 على الحاماة والضرب * ووضع وراء قلب الحرس على رؤس صفوف

الجبال * فرقة من الطوبى بجبهه ذوى النجاعة واليساله * وفى طرف
 الجناح الايمن والى الورا * اضطفت الدالية والبدومتهبة
 للالتقاء * وجعل فى جبل قرية سلخ طابورين من قواصة الاتراك
 الذين كانوا ملواطوعا وانتظموا حديدشال للقتال والغزال *
 وهكذا كانت العساكر المصرية مرتبة بعضها على شكل
 خطوط فردوجة مرصعة * وبعضها على شكل قلاع مرصعة *
 حتى كانوا من أى جهة أتاهم العدو * يستطيعون ان يلقوه بغاية
 الثبات والهدوء * وكان الجيش مستندا الى قونيه من الورا *
 والى جانبه الايمن قلوات فقراء * وعن يساره قرية سلخ * التى سبق
 عنها الشرح * ومن امامه سلسلة من الجبال * وعند حضيضها
 عساكر الاتراك مستعدة للقتال * فعلى هذه الكيفية * كانت
 مراكز العساكر المصرية * واستعداداتها الحربية * وأما جيش
 العدو فكان مرتباً على أربعة صفوف * بحسب ما هو بترتيب
 حركات الحرب معروف * فكان الاول منها منتشر او الثلاثة الآخر
 متجمعة * وكانت فرقاً فرقاء على عدة باشاوات موزعة * وكانت
 الطوبى مخانة مقسمة من مدفعين على كل طابور * ومن أربعة على
 كل الاى بالعدا المحصور * وكان خير الدين باشا على الجناح الايمن
 قد قصد * وسعد الله باشا على القلب قد تأمر * والصدر الاعظم
 أخذ لنفسه قيادة الجناح الايسر * وكانت هذه الجيوش مستعدة

من الورا إلى الجبال * وعن يمينها قرية تسلم وتلك التلال * وإلى
 جانبها الأيسر * البر الاقفر * ومن امامها قوتية والعساكر
 المصرية * وطريق القسطنطينية * بين القرية على السوية
 وكانت عساكرها مؤلفة * من خمسة وخمسين الفا وثلاثة وتسعين
 مدفعا من اجرام مختلفة * وكان الجيش المصري ثلاثين الفا غير زائد
 ومعه ستة وثلاثون مدفعا من جرم وقياس واحد * ولم يكن امامه
 سوى امرين اما الاقدام والانتصار * واما الانهزام واليوار *
 وكان الصدر الاعظم قد وطن نفسه على ان يذهب قتيلا أو يرجع
 غالبا * وأقام أحمد دفوزي باشا معه نائباً * حتى اذا اقتضى الحال
 لا يقع في العسكر اختلال * غير أنه لمرآكم الضباب وتكاثف
 السحاب * قد أقام الفريقان * برهة من الزمان * لا ينظر أحدهما
 الفريق الآخر * ولا يفعل أدنى حركة بان يتقدم أو يتأخر * وعندما
 ظهر النور قليلا * وأزال من الضباب ما كان يحجب باثقيلا *
 انطلقت أعين الرجال والابطال * ورأى الجيش المصري عدوه
 منتظما على مسافة ثلاثة اميال * فأمر ابراهيم باشا الجناح الايسر
 أن يلوى قليلا إلى الورا * ولكن بكل انتظام بحيث لا يتمكن منهم
 الأعداء * لانه رأى ان معظم حركتهم متجهة * إلى نحو تلك الجهة
 فامتلأ وطاع * وألوى نحو مائة ذراع * واذاب عساكر الورا قد
 هجمت مثل السباع * واندفعت إلى ساحة القتال أي اندفاع

فبدأت الحرب بقلوب غير جازعه * والطاقت مدافعها طلقات
متتابعة * الا ان المصرين لم يقابلوا تلك الحركة كمن تأثر * بل
لبشواينة نظرون تقدم العدو أكثر فأكثر * وعند ذلك أخذ ابراهيم
باشا يقتصد الصفوف * ويجول بين العساكر ويطرف * ويشجعهم
بالكلام * ويحرضهم على الثبات والافتحام * ثم سار الى جهة اليمين
نحو بئر هناك قديمة السنين * ليوقف على حركة جيش الاعادى
ومعه ألف وخمسمائة من العرب الهنادى * وجماعة من أعوان
حربه * الذين كانوا يفوزون بقربه * فلما وصل اليها * وأشرف
عليها * اتفق ان شقت حجب الصياب * وزال قسام البحباب
فامكنه حينئذ ان يرى جميع الجيوش السلطانية * ويتأمل
حركاتهم الحربية * وكان جيش فرسان الاتراك * قد انفصل عن
المشاة وتقدم للعرال * أملا ان يفوز بالفخر والسطوة * وأصبح
بينهم وبين جانب الجيش الايسر نحو ألف خطوة * فعزم ابراهيم
باشا من غير تباطى * ان يدخل بينهم بالجيش الاحتياطى * وأمر
البدو ان يتقدموا على الاثر * ليقفوا على حالة ذلك العسكر *
فساروا قليلا * ولم يلبثوا طويلا * حتى رجعوا منكسرين * ومن
كال الاعداء متشتتين * فأمر حينئذ جيش الفرسان * وجيش
الاحتياط والمشاة من الشجعان * ان يتقدموا امام العسكر *
ويجهموا على جناحي العدو اليمين واليسر * فاندفعوا جميعا

كالسيل العرصرم * وتزلوا على الأعداء نزول القضاء المبرم * وقد
 هانت عليهم الآجال * في بلوغ الآمال * فصد منهم الأعداء صدمة
 ترزع الجبال * وترد أسود الدحال * عن حماية الأشبال * وفي
 الحال * اشتد القتال * وتعاطمت الأهوال * وتسكبت رؤوس
 الأبطال * في ساحة المجال * وجرى الدم وسال * وتقطرت دمع
 الرجال * ودار بهم ملك الموت من اليمين والشمال * وكانت طلائع
 البنادق والمدافع * ترج الأرض كالزعازع * وهما جات الرجال
 والفرسان * وحر الضراب والطعان * يحرق الأرض فتطير
 حصاها شرارا * ويعد غبارها دخانا ونارا * وكان جيش الأتراك
 يحاول مع شدة العراك * أن يحرق صفوف المصريين * ويشتتهم
 ذات الشمال وذات اليمين * ولكنهم بقوا ثبوت القلاع *
 وامتنعوا عليه أشد امتناع * فكان العدو لا يستطيع أن يحارب
 كجارتهم * ولا يأمن على السلامة من مقاربتهم * ويمكننا أن
 نقول أن كلام الفريق قد فعل في صفه * ما يعجز القلم عن القيام
 بحق وصفه * فكان الرجال يهجمون على الأبطال والأبطال على
 الرجال * وكثيرا ما يلتحمون اختلاطا في ضيق المجال * فبراهم
 الناظر كخيالات سوداء يقطر الدم منها * وقد ندرت من العجاج
 بعد أن تمزقت أثوابها عنها * وكان صوت البارود يزداد صواتهم
 أريادا * ودخانهم يزداد ألوانهم سوادا * حتى نجسم الويل للابصار

واشتدت ظلمة الليل في وسط النهار * وعما كان يزيد قناعة ذلك
 المنظر الخفيف * نوى الحرب العنيف * وتراكم ذلك الضباب
 الكثيف * الذي كان لم يزل يحجب بعضهم عن البعض * فبليتطم
 الحقل بالحقل وينصرعون جميعا الى الارض * وقد قطرت
 اكباد تلك الجبال * وتمزقت أحشاء تلك السهول والتلال * من
 صرخات المتوجعين * وأتت الكراديس المقتولين * وقاتل المصريون
 في ذلك النهار * قتالا يحير الافكار * ويذهل العيون والابصار
 وكان بطلهم ابراهيم * وسيدهم العظيم * يجري بينهم أسرع من
 النسيم * وهو يهتف عليهم الاله وال * ويحرضهم على الثبات والقتال
 ويقحم بنفسه أحيانا أشد المخاطر * ويفعل ما لا يفعله أن يجتمع
 العساكر * بجوده على الكنائس والمواكب * وعدم اكتراته
 بالاهوال والنوائب * حتى خيل لجنوده انه لم ينظر العدى * أو لم
 يعرف الموت والردى * وبينما كان القتال هكذا شديدا * تقشعر
 منه الايدان ولو كانت حديدا * أظهر المصريون الشجاعة والثبات
 وهم مواعلي أعدائهم من ثلاث جهات * غير مباينين بالمخاطر
 والآفات * وحكموا حرايمهم في الصدور والهجمات * فلما نظر
 الاتراك الى جلاد المصريين وثباتهم * وشدة هجماتهم وثباتهم
 قطعوا من سلامتهم الامل * وأيقنوا بالهلاك وحلول الاجل *
 فركن بعضهم الى الانهزام * بلا ترتيب ولا انتظام * فكانوا

يتقلبون في تلك القفار * كما تتقلب الامواج في لجج البحار *
 وبينما هم كذلك * اذ صدمهم الاسد القاتك * والبطل المعارك
 الذي اشتهر بالشجاعة في الوقائع والمعامع * أحمد باشا المنكلى
 بالالاي الرابع * فأراهم العجائب * وفعل بهم الغرائب * فخافوا
 من هول البلاء * وارندوا راجعين الى الوراء * حتى وقعوا على باق
 اصحابهم * وهم يرون الموت قد أحاط بهم * فاخبط جيشهم طوله
 بالعرض * وأمسى لشدة الارتباك بعضه يصدم البعض * وحينئذ
 اشتد الويل * وازدحمت الرجال بالخييل * حتى كانت لهم ساعة
 تحزن الناظر * وتوجع القلوب والضمائر * لا يستطيع القلم ان
 يصفها * ولا من لم يشاهدها ان يعرفها * وأما الصدر الاعظم
 فانه لما رأى ذلك الخطب العرمم * عظم الامر عليه * واسودت
 الدنيا في عينيه * وخاف من الهلاك والعطب * وعلم انه انولى
 وهرب * وقع تحت الملام والعتب * فلم يجد أوفق من القتال
 والتمبات في مواقف الاهوال * فتقدم الى قدام * بهمة واهتمام
 واقتحم معركة الصدام * عازما على ارجاع النظام * وتجديد الحرب
 والافتحام * بعد ذلك الفرار والانهازام * وكان قد قتل تحته في ذلك
 اليوم ثلاثة أخصمه * وتخرج الرابع في عدة أمكنه * فجعل يحول
 بين العساكر * كانه الاسد الكاسر * حتى وصل الى الالاي
 الخامس والتاسع والسابع عشر * الذين كانوا من المشاة وأمسوا

في حالة الخطر * فينما هو يحول من خلف وامام * وينشطهم
 على الهجوم والافتحام * اذ لمح ضابط من ضباط المصردين * فعلم
 من ملبوسه الثمين * انه من اكابر القواد * الذين عليهم الاعتماد
 فأمر بعض البدو أن يلقوه * فلقوه وابه وضايقوه * وسدوا في
 وجهه طرق الخلاص * وهموا ان يطلقوا عليه الرصاص * فأشار
 عليهم ان لا يفعلوا * وأوقفهم عما عولوا * ثم أعلمهم بحاله خوفا من
 حلول المنية * وانه المصدر الاعظم وقائد الجيوش السلطانية
 فحينئذ تركوا بنادقهم وتقدموا اليه * وأخذوا سيفه وسلاحه وكل
 ثمين عليه * وفي الحال جاء سليم بك قائد الطوبجية * وأحمد أفندي
 ياور ابراهيم باشا في الامور الحربية * وأخذوه من أيدي البدو بكل
 احترام واعتبار * الى مولاهم ابراهيم باشا الباسل القهار
 وكان قد مضى لهم ساعتان في الحرب * وشدة الكفاح والطعن
 والضرب * من حينما أسروه * الى ان أتوا به الى مولاهم وأصلوه
 فالتقاه ابراهيم باشا بالوقار * وفريد الاعتبار * وبالغ في اكرامه
 وشيعه بخش بلقي شخصه ومقامه * وأوصى خفره أن يوصلوه الى
 قونية بالتجيبيل والتكريم * وبتزويده في الدار التي هو فيها مقيم *
 هذا وان نار الحرب والجلاد * لم تزل يمز يدازدياد * اذ الاتراك كانوا
 لشدة بلاهم * لم يعلموا بأسر مولاهم * ومع ما كان من انهم رام
 الصفوف * تمكن قوادهم من ارجاع الباقيين الى النظام المألوف

فثبتوا بالعزم القوى * وهمعوا على المصر بين على هيئة الخط
 المتوى * لحيطوا بهم من ثلاث جهات * وبقطعوا خط اتصالهم
 بقوته ورموهم بالشتات * على انهم لو تمكنوا من ذلك * لرموهم
 باقطع الممالك * وكسروهم كسرها تله * ونخسروهم أتعابهم سنة
 كاملة * بحيث لا يعود يمكنهم الثبات * ولا تقعوا بض مافات * وشرع
 الاتراك على هذا العزم بتقديمون * وكانوا يأملون انهم بحركتهم
 هذه ينجحون * فثبت جناح الجيش المصرى ثباتا يقضى بالعجب
 ويستحق ان يدون باحرف من ذهب * اذ على ذلك الثبات والصبر *
 يتوقف النصر والعكر * فلما رأى الاتراك ثبات المصريين
 استبعدوا النجاح وولوا منهزمين * فبعثتهم الفرسان والابطال
 من اليمين والشمال * وأنزلوا بهم من الاهوال * ما يقصر عنه المقال
 وأخذوا منهم نحو من ثمانية آلاف أسير * وستة وخمسين مدفعا
 بين صغير وكبير * وكسبوا أعلامهم وراياتهم * وجميع ذخائرهم
 ومهماتهم * بل كسبوا منهم ما لا يحصى * وغنموا ذخائر وسفها
 لا يستقصى * وقد قتل من الاتراك في ذلك اليوم المهول * خمسة
 آلاف رجل وفقدوا مثلها من الخيول * وتركوا ضعفها من الحجارة
 منطرحه في تلك السهول * وأما خسارة المصريين * فكانت
 ثمانمائة وخمسين * ومن الحجارة المقذرة من * وكان ابتداء
 هذا القتال بين العسكرين * من بعد الظهر الى ما بعد المغرب

بساعتين * فاستمر نحو سبع ساعات ونصف * على ما سبق من
 التفصيل والوصف * وبعد ذلك رجع الجيش المصري الى قونيه
 ظافرا من مصورا * وغائما موفورا * فدخلها على ثلاث ساعات
 ونصف من المساء * وهو سكران بخمرة النصر على الاعداء * ولما
 عاد ابراهيم باشا الى منزله في سرية قونية * اراد ان يرى المصدر
 الاعظم مرة ثانية * فأتى الغرقة التي كان أنزلهم اذ لك اليوم *
 فوجدده راقدًا مستغرقا في النوم * فابقظه بكل لطافة ووقار *
 وسأله بكل رقة واعتبار * ان يحضر ان شاء الى ديوانه * ويستأنس
 به وياعوانه * فنهض وتبعه بالعجل * وهو في غاية الخجل * ولما بلغا
 المكان * ودخلا الديوان * أعطاه ابراهيم باشا المحل الاول ليجلس
 به * وجلس هو بقرية * وكان يعامله معاملة حسنة * ويعتبره كأول
 رجل من وزراء السلطنة * ويحتفله احتفا لا زائدا * أعجب به كل
 من كان شاهدا * ثم أمر ابراهيم باشا بالقهوة ان تحضر * ولما
 أحضرت أي ان يشربها محمد رشيد واعتذر * وقد زاد قلقا وغما *
 وخاف ان تكون حموضة سيما * وطلب عوضها شربة من الماء *
 لانه كان في غاية الظما * فأمر ابراهيم باشا ان يأتوه بكأس شربات
 فقال اني أفضل الماء على جميع المشروبات * فأنهر ابراهيم باشا
 رئيس السقاوة وقال * أحضر كأس شربات بدون امهال * فاذا لم
 يجد محمد رشيد * يجدد من القبول بعد ذلك التشديد * ولما ملأ

الساقى الكاس وأتى بها * كان محمد رشيد يتمهل عن أخذها
 وشربها * فدأبراهيم باشا به بسرعة * وشرب منها قسما كبيرا من
 أول جرعه * ثم قال له خذوا نسي بنا طنا * فآخذها وشربها
 مطمئنا

* (الباب التاسع) *

في عقد الصلح مع الدولة العلية * والحكومة المصرية
 ورجوع إبراهيم باشا إلى سوريا

وكانت هذه الكسرة القوية * قد وصلت أخبارها إلى
 القسطنطينية * بسرعة كايه * فخافت جميع الأهل * واضطرب
 الباب العالي * ولم يعد يمكنه بعد تلك الحال * وقفه المهمات
 والابطال * إلا التسليم للقضاء * واختيار الذي يغلب الرضى
 فذكر رجال الدولة فيما يحير الخلال * فلم يجدوا أوفق من الصلح في
 نجاح العمل * ولكن كانوا يريدون حسم الداء * وتسكين تلك
 المداوية الداهية * على طريقة مناسبة مرضية * بحيث لا تضر
 بالدولة العلية * فطلبوا اذ ذلك من فرانسوا توسط الحال * ورفع
 الحرب والقتال * فاجابتهم إلى ذلك السؤال * وبعث وكيل
 سفارتها البارون دي فارين * الذي كان من أذكى رجال
 السياسة المعبرين * بالرسالة الآتية * إلى إبراهيم باشا صاحب

الهمة السامية

حضرة صاحب القدر الشايج والمقام الباذخ

انه لمن واجباتي ان اخبركم بان الباب العالي لما كان يحجب ان يضع
 حد للحرب القائمة التي تجلب الدمار * وتخرب الديار * فقد بعث
 بخليل باشا الى الاسكندرية * وقوض اليه امر ايجاد علاج للخلاف
 الحاصل وتسوية نهائية * مع حضرة صاحب السمو محمد علي باشا
 والدكم المعظم واذا كان هذا المشروع ناشئا عما كلفت تبليغه من
 جانب الباب العالي الى حضرة صاحب السمو والدكم الماحدر أيت
 انه من الغرض الواجب علي ان أعلمكم به وأنبهكم كوني وكيل
 دولة هي ولولم تكن تمنى على الدوام الانجاح ونمو السلطنة
 العثمانية لها أيضا أمانة كاية في الحضرة الخديوية ولذا تقوض الى
 أيضا ان اتخاير معكم بتوقيف الحرب والقتال وبناء على ذلك قد
 حررت لكم هذه الرسالة راجيا بعد ان تكونوا وقفتم عليها لاترون
 مكانا لداومة اسباب النزاع والعداوة التي غائلتها اللوم والعار
 والمسؤولية على مسيبيها وورعيها منها تتولد الصعوبات التي تحول
 دون المقصود وتمنع انهاء الخلاف المباشر فيه فاذا تقرر ذلك فلا غرو
 انكم تحاولون تقرير هذا محل الصدق والصواب وتوقفون عن
 التقدم الى امام وتصعدرون أوامركم الى قواد جيشكم بالتوقف

والتأخير وافي باعتقاد اعتقاد اجاز ما بان سهوكم ترغبون القاء السلامة
 والتأمين ولا ترضون بما يناقض ذلك فارجو متى وقفتم على كافي
 هذا ان تكونوا على يقين مما تضمنه من المقاصد السليمة وها أنا
 بانتظار افادتكم التي ستشرفوني بها بحسبة ناقله وقد اغتنمت هذه
 الفرصة لا قدم لسهوكم خلوص حاسباتي واعتباري التام
 وكيل سفارة دولة فرانسا لدى الباب العالي (الامضا)

البارون دي فارين

من ترابيا في ٩ خلت من شهر كانون الثاني سنة ١٨٣٣

فلما وقف ابراهيم باشا على هذا الكتاب وقراه * واطلع على فوائده *
 اجابته بما معناه * انه لما لم يكن الا قائد للعساكر المصرية * فلا
 يمكنه الا ان يسلك بحسب الاوامر الخديوية * و بناء عليه ليس
 بوسعهم ان يتوقف ويضيع الفرصة * ثم حمل الصدر الاعظم ان
 يعلم الدولة بتقديمه بخبره * وذلك ليس على نية حرب ولا جلال
 وانما جل القصد والمراد * هو لداعي هجوم الشتاء ودخول فصل
 البرد * وعدم وجود ما يستدعيه احتياج الجند * ثم ارسل من ذلك
 المكان * بالرجال والفرسان * في التاسع والعشرين من شعبان
 وعند وصوله الى كوتاهية * ارسل له البارون دي فارين رسالة
 ثانية * يطلب اليه * ويشدد عليه * ان يتوقف في مكانه * برجاله

وفرسانه * ولا يعود بتقديم * ولا خطوة قدم * الى أن ينتهي الحال
ويرتفع النزاع والجدال * على طريقة مرضيه * للحكومة المصرية
والدولة العثمانية * وكتب أيضا الى الحضرة الخديوية * يعلمها
بهذه القضية * مشددا على جنابها الشريف * أن تأمر ولدها
بالتأخير والتوقيف * فلما وقف ابراهيم باشا على هذه الرسالة *
والطاع على ما تضمنته من المقالة * أجابه بهذا التحرير * وكان أبوه
قد أمره ان يتوقف عن السير
حضرة صاحب المقام السامي حليف الشرف والفخار محبنا
وسديقنا البارون دى فارين

لقد حظيت برسالتكم الودادية التي دعتموها الى بتاريخ ١٠
رمضان سنة ١٢٤٨ و ٢٩ كانون الثاني سنة ١٨٣٣
ووقفت على ما تضمنته من المحبة والخلوص ثم انني قبل ان أسير من
قونيه قد عرفت الباب العالي بواسطة المصدر الاعظم ان الذي
حملني على الخروج من قونيه والتقدم الى برصه لم يكن الاداعي عدم
وجود ما يسد احتياجات الجيش وقدوم فصل الشتاء البارد
ونقصان الخطب واذ لم يكن لي ادنى قصد في حركتي الا السبب الذي
ذكرته فاذا تقدى كان من هذا القبيل واذ قد وصلت الآن الى
كوتاهيه ووجدت فيها ما يكفي ويقوم بأورد الجيش فقد صممت على
الوقوف هنا امثالا لا وأمر والدى وولى نعمتي الى ان ترد لي منه

افادة جديدة في هذا الشأن وانني سأعلم الباب العالي بذلك أيضا
 راجيا ان اكون قد وفيت بمرغوبات سعادتكم الودادية التي
 يسرني جدا ان اقوم بإيفائها وانني أنتهز هذه الفرصة لا تفحص عن

(الامضا)

عزيز سلامتكم

ابراهيم

من كوتاهيه في ١٥ رمضان سنة ١٢٤٨

وكان ابراهيم باشا قد أطلق سبيل الصدر الاعظم فعاد الى استانه
 وكانت الدولة سمت أمين رؤف باشا صدرا أعظم مكانه * ولما كان
 اليوم السابع عشر من شباط سنة ١٨٣٣ مسجيه * قدم
 البارون روسين سفير فرنسا الى القسطنطينية * لحمل امام حضرة
 السلطان * وتخابره به بهذا الشأن * ووعد به بانهاء الخلاف على أي
 وجه كان * وأرسل الى الحضرة الخديويه * برسالة واداه * بطلب
 منها ترجيع الجيوش المصرية * الى بلاد سوريا * وهذه صورتها
 حضرة صاحب السمو والمقام العالي

لا يخفى عليكم المركز العسر الذي بات فيه الباب العالي من جرى
 نجاح ولدكم ابراهيم باشا حتى انه اضطر أخيرا ان يقبل مساعدة
 دولة روسيا التي كانت قد عرضتها عليه ولما بلغه أخيرا حسن
 نواياكم وميلكم الى فصل الخلاف طلب توقيف تلك المساعدة

ولكن لسوء الحظ تأخرت الافادة فوصلت العمارة الى البوسفور
والآن قصدي ان أحملكم على قبول ما عرضته عليكم خليب باشا
معتد الباب العالي من باشا و به عكار بعض أطراف سورية التي
توفر أسباب تزع السلام ليس في الشرق فقط بل في الغرب أيضا
لان ذلك أصبح يضر بميزانية أوروبا وبصالحنا أيضا فاذا أرجو سموكم
ليس فقط من أجل صوالحكم الخصوصية بل من أجل سلامتكم
وأمنكم الذاتي أيضا ان لا تتصلبوا في عزمكم وان تسحبوا
عسا كركم من الاناضول حالا والافهمز يد الاسف أقول لسموكم
انكم اذا كنتم لم تزالوا مغممين على عدم التوقف تحملون دولتي
على ان تمتنحوكم ذراع العدو وان الامر الذي لا ترضاه وأنا قد تعهدت
للباب العالي بذلك اذا اقتضته ظروف الحال ودولتي لا يمكنها الا ان
تنفذ ما قد تعهد به وكيماها المطلق وان تكونوا على يقين مما تضمنته
رسالتنا من المقاصد السليمة وسموكم تعلمون ما بين دولتي وبينكم
من الوداد ومراعاة الخاطر فلا تحملونا اذا علم ان تخالف ظننا
بمقاصدكم السامية ومن طبعه تجدون صورة الرسالة التي بعثت بها
الى جناب ولدكم الامجد هذا واتني اغتنم هذه الفرصة الثمينة
باصحاب القدر والفخر لاؤو كد لسموكم اعتباري التام
الفيس اميرال سفير فرانسا لدى الباب العالي

(الامضا)

البارون روسين

من ترابيا في ٢٢ شباط سنة ١٨٣٣

فاجابه الخديو الاعظم * والداوري الاكرم الاتخم بسلام الخصة
وصلتني شقتكم الرسمية بتاريخ ٢٢ شباط سنة ١٨٣٣ وفهمت
مضمونها اما قولكم انه ليس لي حق ان اطلب اكثر من باشاوية
عكاو بعض اطراف سورية وبناء عليه يجب ان اخرج عساكري
من الاناضول بدون ادنى عاقبة ثم تدنى ان لم افعل ذلك فلا
ياجناب السفير المحب باي حق تطلب مني ذلك الم أغلب اولم اكن
قادرا ان أغلب بعد فكيف تكلفوني ترك حق كهذا غير اني ارجو
ان مقاصدنا ونوايا دولتكم الفخيمة لا تريد مني ذلك ولا تخوجني اليه
بل تعاماني بالعدل والاذفاف وانني أقول ثانيا انني قد غلبت
وظفرت وقد يحق للغبالب ان يضع الشروط وليس للفلوب وانني
لا اتنازل عما قد طلبته من معتمد الباب العالي واذا اقتضت الحال
فاني مستعدة ان لاعيد السيف الى غمده قبل ان اتال المقصود أو
أموت شريفا بين جيشي وامتي وانى يا جناب السفير اعتقد اعتقادا
جازما بعد التكم وجودة تدبيركم ولذا ارجو ان تصادقوا على
تصرفي وان تسعدوا الذي الباب العالي مطا ليسي السني بلغتها الى
خليل باشا والسلام أحسن ختام انتهى ملخصا (الامضا)

محمد علي

من الاسكندرية في ٨ خلت من أدار سنة ١٨٣٣
 ولما بلغت هذه الرسالة السفير المشار اليه * واطلعت الدولة على
 ما احتوت عليه * لم تجد بدا من ملافاة الامر * واتخاذ ذلك الجهر
 على طريقة مناسبة * خوفا من العاقبة * فقوضت البارون روسين
 بقض هذه القضية * وانها تتنازل للحضرة الخديوي * عن جزيرة
 كريت وسوريا * وتسلم مقاليدهم للحكومة المصرية * فابسل
 البارون روسين * البارون دى فارين * في التاسع والعشرين من
 أدار * الى كوتاهية وتلك الديار * لكي يتخاير مع ابراهيم باشا هذا
 الصدد * وعند وصوله الى ذلك البلد * التقاه ابراهيم * بالترحيب
 والتكريم * واحتفل له الاحتفال العظيم * وبعد اقامة فروض
 الواجبات * دارت بينهما المخابرات * فطلب ابراهيم باشا علاوة على
 كريت وسوريا ولاية أدنه * ولما كن البارون المشار اليه
 مقوضا اليه التفويض التام من طرف السلطنة * سلم له بهذا
 الطلب * حسما للتزاع والتعب * وتحررت شروط العهده * في
 الثامن من نيسان والسادس عشر من ذي القعدة * فامضيت من
 الطرفين * وصادق عليها كل من الدولتين * وهكذا انتهى الحال
 وارتفع النزاع والجدال * وخمدت نار الفتنة بعد الاشتغال * ورجع
 ابراهيم باشا الى قطر الشام * بالعز والاحترام * بعد ما بلغ المرام
 وأطاعه الخاص والعام * ووقعت هيئته في قلوب الانام * فدارت

بقدمه البشائر * وقامت الافراح وابتهجت العشائر

* (الباب العاشر) *

في ذكر من قدم على ابراهيم باشا من شعراء العصر

وقدم له المدايح والتهاني في نوال هذا النضر

فلما قدم ابراهيم باشا الى قطر الشام * كما تقدم الكلام * قصده
شعراء الزمان * من كل جهة ومكان * وقدموا له المدايح والتهاني
فيهم الشيخ تاصيف البازجي اللبناني * شاعر زمانه * وعلامة عصره
واوانه * فقال بمدحهم هذه القصيدة * ويمتثل تلك الانتصارات
السعيدة * مسنة تحابذا كرحضرة الخلد يوصاحب الاوصاف
الحميدة

يا فاتح القطر بن أنت محمد * هل دون فتحك في البلاد مستدد
أنت العلي كما يقال ونسله * منك المعالي لم تزل تتولد
سددت البلاد بمه تمويه * فالارض دارك والخلائق أعبد
وأنتينا باسم النبي وصهره * وغزوت غزوهما على مانههد
جبل بمصر الى الحجاز وطسه * لحق الشام وظل منه الا بعد
لو كنت تنهر ارضهن تزلزلات * ولو از دجرت النيل أوشك بحمد
ياسيد اعرف اسمه بالرفع لا * بالخفض والتمويه أنت المفرد
بك يستعين الجيش حيث رميته * بددا وياك الصوارم تعبد

لما بعثت من الكنانة سهمها * خلقت عليه انه لا يصرده
ما زالت النار التي وقدت له * بردا عليه وناره لا تبرد
من مثل ابراهيم الاسيفه * يوم الكريمة والقنا المتأود
كالسيف الا انه لا يتقي * حذرا ويحسب انه لخلد
ملك يخاف الله ليس بحاسد * ويخاف سطوته الملوك ويخسد
يا ايها القمر الذي من حوله * شهب الصواعق والسحاب الاسود
أرأيت ما أجرى عداتك همة * سبقوا ولكن في الفرار وأجهدوا
ولي العدو يكاد يسبق مهره * ويودلوا كل الطريق فينفد
أخذوا الحماة بعضها وتخلقت * منها رجال في البقيعة محدد
لو كنت تصغي لاستمعت نوادا * في الترك تذب أهلها وتعدد
أرسلت قبل الجيش جيش مهابة * جيش العدو له وله يتبدد
فأثبت مكانك وابتعث اسمك بعدها * وكفى القتال به وأنت موسى
ولقد ضربت حصون عكا التي * كانت أهميتها الفرائص ترعد
الله أكبر ليس دونك قلعة * تحمي ولا حصن أشم عمرد
خافت جبال الارض منك ودرأت * هذى الفعال بعثها تتردد
وتحصنت منك الاسود فلا تلم * قوما باغلاق الحصون استجدوا
أسألت عبد الله أين قلاعه * ورجاله وفؤاده المتوقد
أمسى بشدد قومه فعدا ومن * لفؤاده بغتي تراه يشدد
لما مررت به أسير خاضعا * خشعت له أبصار من يتفقد

لا حد دونك في المكارم والعلو * وعسى البقاء عليك ليس يحدد
فالظلم الا عن طباعتك تبقى * والعود الا عن جنابك أحمد
وقال أيضا مؤرخ خافض عكا

في فتح عكا برد نار معاطب * دار الخليل وللديار به البكا
رأس الثمان وأر بعين بطيه * مبيتان مع الف فيار لثربكا

سنة ١٢٤٨

وكان قد اقترخهما عليه الامير بشير * ليقدماهما الى مقامه الخطير
وهما يتضمنان ثمانية وعشرين تاريخا على وجه غريب *
واسلوب عجيب * وذلك يحصل من كل شطر من اقطارهما على
طريق حساب الجمل * ومن مجسم كل بيت ومن مهملة ومن جمع
ما في كل شطر من المعجم مع ما في غيره من المهمل * جار يافى ذلك على
الطرد والعكس في الحروف والاشطور * بين تقديم المهمل تارة
وتأخيرها أخرى والمخالفة بين الاعجاز والصدور * وذلك من
الطرق المبتكرة في هذه الصناعة * والتاريخ الناطق لفظا في
مثل هذه المعاني على تمام البراعة * ومن قدم له التها في هذه
الفتوحات السعيدة * والانتصارات المجيدة * الاديب الفاضل
والخاذق الكامل * الاودعي الذكي * الشيخ أمين الجندی فانه
مدحه بموشحات باهره * وقصائده نفيسة فاخره * منها قصيدته

اللامية * التي ذكر فيها فتوحاته الشامية * وهي من أرق الشعر
والأطفة * وأجود النظم وأظرفه * كثيرا ما تلجج الناس بإيرادها *
وتهتني في غالب الاوقات بانسأدها * ومطلعها قوله
عرج أخا البأساء نحو بني العلى * والتم تری أعتابهم متذلا
وابسط أكف رجاء كسر لعددهم *

واجرا الدموع على الخدود توسلا

ودع التمجيد من شجاعة من مضى * من قبل وانزل عاصرا ومهلهلا
وزن الرجال فان في افرادها * من لايزان بالف ليت في الملا
ان قيل ابراهيم جاء محاربا * سقطوا وان كان الكلام تقولا
هو سيد الوزراء درة عهدهم * وأجل من بالسكرات تسربلا
في حكمه ترعى الضواري والظبا * وبعد له أنحى الزمان مجلا
فاق الاوائل سودا ونخامة * وهما الاواخر رفة وتفضلا
كم منكرات قد أزال وجودها * عناوكم من باطل قد أبطلا
لا عيب فيه سوى الثبات وانه * يلقى السكينة وحده والطفلا
ذو همة علوية لو صادمت * في الحرب طودا شاخا لترزلا
قامت قيامة عكة من بانه * واجاط من كل الجهات بها البلا
جدافع فان اهام من دافع * وتقابل تحكى القضاء المسترلا
تنبأ بدرا والنضير وخيرا * وحروب مكة والبسوس وكر بلا

لو شام حراهم بها اسكندر * لاندك محكم سسته وتقصلا
 ووزيرها المدعو بعبد الله قد * أمن الردي ولا رض مصر أرسل
 والى دمشق الشام سار بهمة * ومواكب وكتائب ان تصطلي
 برزت جميع جنودها لقتاله * فهناك جذبة فتحها واستعجلا
 حتى اذا طلبوا الامان أجابهم * وأنال كلا منهم مأملا
 ونرى الى حصن ليقمع من غدا * في مالها وعقارها متحولا
 وبها العساكر والدمار قد حكت * قطع الظلام اذا بدا متضلا
 زحفوا اليه كالجراد فادبروا * لما رأوه كالسمر من مقبلا
 ذهلوا بصاعقة المدافع فانشوا * يترقبون الى السلامة منزلا
 فتري السكاة محمد بن علي الثرى * والخيل من وقع القنايل جفلا
 والى حماة الشام سارو بعدها * لمعة النعمان يخرق القلا
 حتى أنى حلبيا فلم يرمهم * الا طريحا أو جريحا مبتلى
 اضحت طعاما للطيور لحومهم * ودمائهم للشرفية منملا
 والعز في العرب استنار مناره * بيزوغ شمس من احمر ان تأفلا
 فاقام في تلك الرحاب ولم يزل * بالعزم رفوع الجناب مجلا
 ومنهم العالم العلامه * والاذيب السكامل الفهامه * المعلم بطرس
 كرامه * فانه مدحه بهذه القصيدة الباهرة * والخريدة النفيسة
 الزاهرة * معرضا بجمادى حجاب أمير المعظم عزير مصر القاهرة
 فتحها الفتح القريب مؤكدا * وكواكب النصر المبين توفد

والدهر بعد الغدر أصبح واقيا * يثنى عليه بالجميل ويحمد
والعز أشرق في الديار مبشرا * رتب العلى والسعد جاء بفرد
ما المجد الا بالحسام ولم يدم * شرف الفتى مالم يهتبه مهتدا
يا يوم هـ كـ لم تدع ذكرا لنا * عبر الزمان به وما يتجدد
يوم به الحرب العوان تضرمت * بقنابل مثل الصواعق ترعد
رجعت بشهب كراتها الاسوار من * لهب فذلك الشاخ المتوطد
ورمت بصدر بر وجهها قلل القضا * تلك المدافع فهي طوعا تسجد
فتخال والهجاء تلهب حواها * نار الجحيم بجوها تنصعد
سبقت اليها الصبح أسد عريته * وبغير صبح حراهم لم يتدوا
من كل أروع قد تعود في الوغى * أخذ الكفاة وما يقول السيد
وتراه يسم للكفاح كأنما * ورد الحمام لديه نعم المورد
وثبوا على الاسوار ثم تسبوا الابراج والسيف الصقيل مجرد
وتجلد القوم العداة وانما * لم يجدهم عند العراك تجلد
نثروا جماجمهم ولم يمنعههم * من سيف اجناد الجهاد مشيد
وجرى النجيع على الطلول فخصبت * كف المعالم والمصعيد مورد
أمست خلاء قد تحمل أهلاها * وبذلك خبرها الغراب الاسود
مهتوك الاسوار تشقى بعد أن * كانت هي الحصن المنيع المسعد
عذراء تخطم بالملوك ولم تزل * بكر اليها قبل لم تعد
حتى أتى واقتض منعة عزها * بحسامه أسد أبو محمد

مولى نعوذ فتح كل محسن * والمره متعوف بما يتعوذ
 سل أهل نجد والجازوسل بنى * فخطان عنه والفوارس تشهد
 فتح المعاقل والحصون وقادها * بمواقع تذكارهن مخلص
 سعدت به هذى الديار وأخصبت * وباهلها نشق الديار وثبت
 شهم لو اسم أيه يتلى في الوغا * لتفرقت أعداؤه وتبددوا
 وإذا تعاطمت الأمور فالحظة * منه تغل بها الأمور وتعقد
 لولا ما سار الطنج ولم يفرز * بزيارة البيت الحرام فوجد
 أمر الزمان بأن يسلم أهله * فاطاعه فيما يزوم ويقصد
 فاضت يداه بالنوال سخاها * هتافا صافي الجبين وعسجد
 ملك تتوج بالمجامد والتنا * و يصارم النصر المديد مقلد
 واقصد غدا بين الملوك محمدا * وعلى شأن فضله لا يحجد
 ولما أراد الله من شرفه * باسمين محي وهو نعم الم فرد
 ذوهمة لا منتهى لرامها * وعزائم ترقى السماء ونصعد
 ويحل قدرا ان يقال غصنقر * عنه فكم لبث لديه محمد
 وأثارت الامصار شمس علائه * ففقدت نسج عدله وتوحد
 لا تحزى يا عكة من ذا البلا * وتصرى فال يوم بعقبه غمد
 وخذى لك البشرى فكف نواله * مستعيد حيك للحياة وترقد
 ويفيض من مصر عليك جباله * فيجود ربك بالسرور ويعضد
 أقسمت بالشرف الرفيع ومجده * ويجود كفيه ولست أفقد

لو ان تقام المذاخرات مدائحاً * منظومها بالزاهرات منضد
 لم تحصى مدح أبي الخليل وانما * بمدح بحمد حل النظام المنشد
 لازال مسعودا يصاحب جيشه * نصر من الله عليه مؤيد
 وبفتح عكة سيف ابراهيم قد * قال المؤرخ طافسرو مؤيد
 فاحزل جوائزهم وأحسن اليهم * وأفرغ حلال اللطف والاحسان
 عليهم * قلت وقد تقدم البيتان اللذان اقترحوهما الامير بشير على
 الشيخ تاج الدين * ليقدروهما الى مقامه السامي المنيف * فلما بلغاه
 تحررت منه العواطف الالديه * وأخذت بعطفه هزة الاربعين
 لما كان منطبقا عليه من حب الفصاحة والادب * وذلك على جمعه
 بين الشيف والاقلم شاهد عجب * فارسل بطاب من الشيخ المذكور
 قصيدة على ذوق قصيدة السيد شاكر النحلاوي * التي مدح بها
 الشيخ عبد الغني النابلسي * فنظم القصيدة الآتية وقد أودع كل
 بيت منها تاريخين * واقترح صدورهما بحروف اذا جمعت أعربت
 عن هذين البيتين

أنت الخليل وفي الاطلال بردا ناطي

اللال عكاور فض الرعب والخنز

١٢٤٨

١٢٤٨

١٢٤٨

١٢٤٨

كن بالغاء أوج سعيه ما به خبر * أو غاليا لم يزل في أول الظفر

١٢٤٨

١٢٤٨

١٢٤٨

١٢٤٨

وهما يتضمنان ثمانية تواريج في كل شرط تاريخان * كأنهما
فرقدان نيران

وأما القصيدة فهي قوله

الزهر تبسم نورا عن أقاحيها * اذا بكى من سحاب الفجر يا كيهيها
نورا الا قاحي الذي ما بالحيا به * من صخرة وصفاء عز من شيبها
تلك الر بوع لليلي ابن مريدها * عن قصده وسيف العرب تحميها
أدياء تحني على الاكباد قاسطة * تبارك الله ما احلى تحنيها
ليلى ولي شوق قيس في محبتها * فشعره فحنون شابه فيها
خالها عمه ورد بدا حرما * في وجنة حيت عن يدانيها
لله مقاتل السوء اصادة * قلوب عشاقها والقرط راعيها
يقول قومي رويدا قد سقطت هوى

* فقلت مهلا شفاءى من نواحيها
لعل صافي نسيم من خمائلها * أتى يهب على روي فيثقيها
وبي رفاق ليال في النقاء وقت * يرض اللقاء لها أهنا ليلها
في جنة حورها ترهب بنا وبها * لو كان يصفو خلود في روايبها
يمزني ذكرها وجدافا علمه * جرحا وروحي تراه من محانيها
أسأت كتم الهوى والصب كيف له * ستر وأدمعه قد هل واشيها
ليس الهوى يخفي عند رادعه * فكيف تاشره بطوبى عويها

أستودع الله صبراً ما أمارسه * ومهجة عن خسان أنت أحبها
 طاب الهوى والضمي واللوم لي قد مضى * أسرف في بذله في حى أهليه
 ليبيك يا لظه الجاني على كبد * سبالت أسي في الهوى لولا تأسيها
 إن تعف طوغاً فإن العفو لي أرب * أولاً فريحان روي في تقانيها
 ليت الصبا عادلي بعد المشيب على * شرط الوفا وهو أدنى من تجليها
 بكر محبة لا تجلي ليها * حتى من النجم حتى ما يلاقبها
 راق الدلال لها والذل لي أبداً * ولم يرق كأس وردى من تدانيها
 دمعى وميسرهما الدر الثمين صدق * له حتى فيه صبر القلب أروى
 لما رأت جدو جدى في محبتها * قامت بسيماء هزل عينها نيتها
 ظن الجهول الهوى سهلاً لو الجبه

مهلاً فقد تاه جهلاً أو عفى ثبها
 يحجب غزل عين جاء حاشكه * يحجب برد الضنى حلوا لها و يها
 إن العيون التي بانّت لطائفها * لها خفاء معان ليس ندرها
 طلاس سحرها الرموز طاعة * أشكاه في سطور حارقا ريه
 لو اخط الخن في زى الحسد ادلكى * يبرزن خزان على قتلى روا ميه
 الناهيات البواكى المبكيات فقد * كفت عقول البرايا عن معانيها
 لولا سوادها ما ابيض فودى عن * شيبى ولا احمر دمعى من تهاديها
 عسى الذى يصدود جاء بأمرها * يحجب غلاطاهدى في نهيه

كل الجراحات مشفيتها الدواء سوى *

جراحها أين حلت فهي مشفيتها

إلى العيون التي في طرفها حوز * عهد الرغاية رقمان محببها

ويلاهم من زبغها داء تطيب به * فلا شقينا بعثت من دياحبها

روحى وعيني فدى عين مطهرة * ومهجة للتي بالنفس أقدحها

فهي الجميلة لكن بين فاشقها * والصبر جور فبيع من تحافها

شاع الزمان وطال الوجذ وأسنى * ولم يقصر سباق في نصائبها

أشابتني عنها قربان فزهدا * وعيرتني بشئ جاء من فيها

للشيب أنفع طب في الفتى نبأ * عما يوافي وترهيبا وتنبيها

رأس يصغده نأى الصبا عينا * يادهم الشعرة النداب نامبها

عيش قصير طويل الرعب أعدله * ما يقصر النفس قربان نحو باربها

برق المني خلب الأفلح حي * تفر عين به رصدا يسلبها

والناس من يشتهى ما المطل حاصله * ومن يقبه عداة نام داغبها

أعوذ بالله من علم بلا عمل * ومن تدارك نفس كل راعبها

لوامة أوقفتني لأطأوعها * ولا يحجب شعفي أن أعاصبها

حلت لها النار دون العار في دول * من حاسديها بأرض سال وادبها

ذرفي وما بي هل لوم يلجمها * وقد ملئت وملت من أعادبها

رماحكم يا كرام الحى لا تعفوا * ولا ترعكم بلي جدت دواهبها

كل البلاء من الدنيا متى تزلت * بنا فسر إن إبراهيم تقنيها

نار ونور متى قال التزال له * والجود هات يد الم يلق ثانيها
 بني من العز ينادون أعمدة * سوى قنائة له عزت مبانها
 اللوذعي العزيز الباسل الملك الغازي الملايد حسبي أياديها
 لل سيف والرمح والاقلام قد ولدت * راحاته وتسوال تقاجبها
 غار مهيب حسيب ماجد نجيب

صافي الصفات نفيس النفس زاكيا

أقواله خطب أفعاله شهب * آراؤه قصب بالله حاميهها
 أحبي المحامد مقداة مسلمة * أليس أمواله تقني وتبقيها
 ورد ما من عدل العناية لا * يلهو بزهر ولا خمر يعاطيها
 جوار خيل يحل الباس جانبا * والفخ والخلف عدلا بين أيديها
 سل قوم عكاء حين أريد مشرقها * والشام والترك لما استودنا ديها
 عبد الخليل لعبد الله صار بها * أسما وشبه اسمها راحت أساميهها
 داس البلاد باذن الله يكمرها * ونكسر الشيف ترعا من نواصيهها
 فاجت سراياها أمجادا يساحتها * تبتقي وفيها وتبلي من يعاديهها
 أحبيب بأسيد تحكي الدهر همته * لسكن متى ناب شر من يحاكيهها
 بعيد قدر عن الامثال ليس له * شبه فامدحه ما جاء تشبيهها
 هو الذي حج آل البيت جاء به * بعد الذهاب جلي الطرق جاليها
 ضل السعدي وهاب السواد فها * أهداه الأبرق البيض واليهها
 رسول حق تزال الحرب ستمه * وفرضه الجديا الجدوى يواليها

رام الحجاز وسود الزنج ثم رمى * فيها القتال وأم الروم يرميها
 الله أكبر هذا حال من جلس الأيام فوق سروج الخيل يدهمها
 والحمد لله لم تقصروا كره * في ما يقوم ولم تحصر ماسعها
 غلاب تادوا أجناد بعا هده * نصر قريب على لطف عياشها
 أحصى المني والثنا والحزم والكرم ال
 أسنى وآيات عدل استأحصيها
 لا أعقب الويل مصر او هوتار كها * هما فجود يديه جاء يغنيها
 بحر ويدر واث لا يردله * أحرر مصامة سجان بارها
 أبوا الفتوحات أم الحرب طاهيها * سلطان ساحات بر العرب واقبها
 له البلاد باثخاص العباد بها * أبقى التلاد بما حاطت أقاصيها
 محمدي على شأنه كسرت * طوارق الرقع بانهم منه يأتونها
 يا يوم عثمان لم يفل بها كره * الاحقايا طعون وهو حاديها
 زلت به قدم جاءت به صرحا * فقلت القهقري والجسم ينعيها
 لسيف سلطان مصر هبة لقي ال * بلاد حبيها ياسيف غازيها
 فاق الثنا انك الدنيا وقاهرها * سعدا وحاكها حقاقاضيها
 يا فاتح المنصب الطاري ندى وردى *

على الصدى والعدى يخلى طوارقها
 أتيت نحولاً حي الليل عن عجل * وأقتل الخيل جوايا أزعجها
 والله يشهدكم ليل سهرت بكم * أجب لورقيمة در رد جاليها

لم يأتها قبل الاشاكر عجباً * وجئت بسد فاهدتني قوافيها
 أنفت صداعاً برأس راح يسلمه * وجئت اسلب أذواء تدأويها
 لم ألق كفو الهام من رفعت يدي * قبل الالبه فلم أهتم تنزيها
 ظل البديع لها عبادا يلهمها * وكل خطب سليم عند راقبها
 فأنعم بها وهي فلتنعم بكمها * جودا ومعهها جأها ومعليها
 راقب كادني معانيك الحسان لها * آيات حق كسطر من مبانيتها

سنة ١٢٤٨

فلما وقف على هذه القصيدة الانيقة * ونأمل مافيهام من الالفاظ
 الرقيقة * والمعاني النفيسة الدقيقة * مع ما انطوت عليه من سلامة
 التركيب * وحسن الانسجام وعذوبة الاساليب * وعلى مافيهام من
 الصناعة التاريخية * والالتزامات البديعية * أعجب بها غاية
 الإعجاب * ووقعت عنده موقع الاسحسان والاسهت عذاب * فانفذ
 اليه عشرة آلاف غرض وخاتماً من الباقوت الفاخر * على ما اعتاده
 من جميل المكارم وبديع المآثر

الباب الحادي عشر

في ذكر ما اجراه ابراهيم باشا في الشام * من الترتيب
 والنظام * وما اتفق لحضرته في بيروت * مع راجل من
 ذوي البيوت * وحسن معاملته لسيدى المرحوم الوالد
 كفاني الله شر العدو والحاسد

ولما استقرت لإبراهيم باشا ولاية عربستان * نادى بالعدل
والامان * وضبط الامور والاحكام * على أحسن ترتيب وأكمل
نظام * وأقام شريف باشا حكاما على مدينة دمشق الشام
بأمر حضرة الخديو نفيخا الانام * فعلا في البلاد شانه * وارتفع
قدره ومكانه * وسأعده الاقدار * ودانت له الاقطار * واستنار
عموم الاهالي * بصبح عدله المتلالي * في ظلمات الليالي * ومن
اعماله المرضيه * التفاته الى اخبار الرعيه * والبحث عن احوال
الاحكام * وتعرفات الولاة والاحكام * بحيث لا يراعون في الحق
أميرا * ولا كبيرا ولا صغيرا * وكان اذا سافر الى بلد * لا يحب ان
يدخله بالاحتفال وكثرة العدد * بل متخفيا حتى لا يعلم به أحد * ولم
يكن يفرق في التأديب بين القوي والضعيف * والحقير والشريف
ولا يراعي جانب أحد في القصاص * ولو كان من احبائه الخواص *
ولذلك لم يكن أحد من اجناديه * أوأ كابر رؤسائه وقواده * يتجاسر
ان يعيد عن طريق الصواب * بشئ من أنواع الظلم والارتكاب
وهو أول من شرع من الاحكام * في جمع عسكر النظام * في ديار
مصر وبر الشام * فلم يكن يشكوه منه انسان * الا من هذا الشأن
لان اهالي عربستان * لم تكن معتادة عليه قبل ذلك الزمان * وفي
أيامه انتعشت سوريه * وتمتع بالسرور والرفاهيه * وذلك
بإزالة بغاة الناس * وجمع سلاح الاهالي من جميع الاجناس

واقتداره على المفسدين * وقتله المردة المعتدين * فعمرت البلاد
 وراجحت الصنائع * وتأسست المدارس والمطابع * وأخصبت
 الاراضي والاقاليم * وارتفع حق الارملة واليتيم * وكان الناس
 يهابونه لشدة بطشه وصرامة أحكامه * ولذلك انتشر العدل
 والامان في أيامه * فان بعض التجار * من أهل المناصف والشحار
 ذهبوا يشترون غنما * من نواحي حمص وحما * فسطأ عليهم قوم من
 العرب * وسلبوا ما كان معهم من الفضة والذهب * فحضروا اليه
 ومثلوا بين يديه * وشكروا أمرهم لدولته * فأمر لهم بدفع المال من
 خزينته * وأرسل واحدا منهم من ذلك اليوم * دليلا على أولئك
 القوم * فحصل منهم ما سلبوه من الدراهم * وأدبهم بالقصاص
 الصارم * فتأمنت الطرقات * وتمهدت السبل في جميع الجهات
 وانقطعت أسباب الفتن والحركات * حتى لم يعد أحد يهدي على
 أحد * ولو كان من أكابر الهدى * فسكانت النجاسة تزعج مع الذئب
 والخروف يبيت في حضن الأسد * وكان مهيبا بهذا المقدار *
 ومشهورا في جميع الاقطار * حتى اذا أرادت المرأة ان تسكت
 ولدها القطيع * كانت تهذبه باسم ابراهيم * وفي تلك الايام اعتزال أمير
 بشير بامداد وتأييد * وطالت يده في ولايته وتشديد * حتى كان
 بحسب ان ذلك الزمان * كان أول حكمه على جبل لبنان * مع انه
 كان واليا في الجبل المذكور * منذ خمس وأربعين سنة وكسور

وليكن كانت يده مغلوله من مناصب البلاد * فلم يكن يستطيع ان
 ينفذ احكامه على حسب المراد * لان مشير الاحكام * في تلك الايام
 كان نارة لا يقدر ان يعطيه قوة ليتقوى عليهم * وتارة يستميلونه
 بالرشوة فينعطف اليهم * فلما تولى ابراهيم باشا الذي كانت ترجف
 الجبال من سطوته * وترتعد فرائض الابطال من هيبته * انبسطت
 يد الامير * بهيبة هذا الوزير * حتى صارت المناصب واهل الجبل
 تخاف من خادمه اكثر مما كانت تخاف من شيخه في الايام الاول
 * نادرة *

وكان ابراهيم باشا مع شجاعته * وحسن تدربه في ابواب الحرب
 وبراعته * ذاسياسه * ونباهة وفراسه * وله في ذلك نوادر كثيرة
 وحكايات شهيرة * منها ان رجلا من اهل رأس بيروت مر ذات يوم
 على الرمل * وأوغل في ذلك السهل * فرأى في طرفه رجلا مقتولا
 في تلك القفار * فارتاع لمنظره وحار * وأخذته الرعدة
 والاقشعرار * فرجع على اثره * وحدث المسلم بذلك الخبر *
 وكان متسليم المدينة يومئذ رجلا على الهمم * موصوفا بمكارم
 الاخلاق وحسن الشيم * محمدا عبد الغائب والشاهد * يقال له
 حسين أفندي راشيد * فبادر باحضاره * واستكشاف اخباره
 واذا هو رجل غريب * ليس له في المدينة خليل ولا قريب * قتال
 المتسلم قاتلا وكذرا * وتلهب قلبه غيظا وشررا * وقبض من اهل

رأس بيروت على نحو عشر بن نفرا * وسألهم عن ذلك المقتول *
 فقالوا ليس عندنا علم بشئ مما تقول * فتهددهم بالضرب الاليم
 وألقاهم في السجن تحت الترسيم * وكان كثيرا ما يستحضرهم
 ويهددهم * ويسألهم ويتوعددهم * واتفق حضور ابراهيم باشا
 في تلك الايام * من مدينة دمشق الشام * فأوقفه المتسلم على واقعة
 الحال * وأخبره بما فعل من حبس أولئك الرجال * فقال له انك بما
 فعلت قد أخطأت الغرض وركبت الشطط * لانه من المستحيل ان
 يكون القاتل أكثر من رجل أو رجلين فقط * وما أنت قد حجت نحو
 عشر من رجال من أهل البلاد * من حيث لم يقع لك شبهة منهم على
 أحد * ثم أمر بإخراجهم من السجن واحضارهم الى ما بين يديه *
 فأخرجوهم وأحضروهم اليه * فتأمل فيهم واستنطقهم * وبعد
 ذلك أطاقهم * واستدعى باحد الجاويين * وأصعبه بخمسة أنفار
 من الضبطية * وقال له أريد منك الآن * ان تذهب الى رأس بيروت
 من غير توان * وتأتيني بأصحاب الدكاكين والخمارات * الذين
 يبيعون المسكرات * فامثل ما أمر * وفعل كما ذكر * ولم تكن
 الاساعه * حتى جاءه رجلين من تلك الجماعة * فاخترى باحدهما
 وقال له أصدقني بالكلام * والا انتقم منك أشد الانتقام * هل
 مر عليك منذ يومين أو ثلاثة أيام * بعض انفار * ومعهم رجل
 غريب الديار * فقال لا والواحد الاحد * انه لم يمر على أحد * ثم

طاب الآخرو سأل ذلك السؤال * وتم تدمه بالمقال * فقال نعم *
 يا ولي النعم * قد حضر الى دكاني منذ يومين عند المساء ثلاثة اشخاص
 غرباء * فطلبوا مني طعاما * وفاكهة ومدا * فاتيتمهم بالمطلوب من
 المأكول والمشروب * وأقاموا عندي ولعبوا بالقمار * طول ذلك
 النهار * ثم انصرفوا بالسلامة والامان * وفي الصباح رجع منهم
 اثنان * فقال له ابراهيم باشا لقد قلت الحق * ونظفت بالصدق
 وأنا آريد الآن احضارهما منك * حتى أطاق سبيلك وأصفح عنك
 ثم أمر الجاويش * ان يذهب معه و يعاونه في التفتيش * فذهبا
 جميعا * ولم تكن الا ساعة حتى اتيا بهما الى حضرة سر يعا * فقال
 لهما ويلكما أسدقاني * أم رقيقكما الذي كان معكما في اليوم القلاني
 فلما سمعا كلامه * وعرفا قصده وحرمانه * رجف قلبهما * وازداد
 رعبهما * ولم يسعهما الا الانسكان * خوفا من الهلاك والبوار
 ونزول الدمار * فاقاهما تحت الضرب والعقاب * ولما طال
 عليهما العذاب * أقرابا بينهما قتلاه * وأخذ اماله ودفناه * فالتفت
 ابراهيم باشا الى المتسلم وأمر باب الديوان * ومن حضر في ذلك المكان
 من الاكابر والاعيان * وقال لهم هذان هما المجرمان * ليس كما
 ظننتم أنتم * فتعجب الحاضرون من فطنته * وقوة ذكائه
 ومعرفته * فأمر بقتلهما امام الجهور * وان يلقيوهما في ذلك
 المكان الذي قتلا فيه ذلك الرجل المذكور * وكان ذلك الذي كان

الذي سكر وابه * وقتل ذلك الرجل بسببه * يقال له كان الزيدانيه
فأمر به دمه وتعطيه بالكاه * وبقى مهذوما معطالا إلى أن
خرجت الدولة المصرية * من بلاد سورية

(حادثة عجيبه * ونادرة غريبه)

وكان ابراهيم باشا كثيرا ما يطوف متنكرا بين الناس * ويحيا
أصحاب الصنائع من جميع الاجناس * فيسمع حديثهم وكلامهم
ويعرف قصدهم ومرامهم * وأحيانا يذم نفسه امامهم * فأصدا
بذلك كشف اسرارهم * والوقوف على حقيقة اخبارهم * ومن
غريب الاتفاق * المستحق التسطير في الاوراق * ما جرى لحضرته
في بيروت * مع رجل من ذوى البيوت * يقال له الحاج علي حصرم
وكان ذكيا بارعا في الحديث والتكلم * وهو الذي حدثني بهذا الخبر
ونقلته عنه كما تشرح وذكر * قال بينما كنت ذات يوم جالسا في
دكاني * واذا بدرويش قد أقبل على وحياتي * وكان مربوع القامة
مهييب المنظر * وعليه حلة من الصوف الاحمر * فرددت عليه
السلام * وتلقيته بالترحاب والاكرام * ودعوتيه للغلوس فجلس
بقرني * وقدمال اليه قلمي * ولما استقر به المقام * أخذ يباسطني
بالكلام * ويسألني عن أحوال الاحكام * وتصرفات الولاة
والحكام * وقال انه قد حفظ في هذه الايام * من مدينة دمشق الشام

ثم أخرج من جيبه غليونا صغيرا * وجعل يمدخنها ويتأوه كثيرا
وهو يتنهد ويتحسر * مظهرا على نفسه الحزن والكدر *
ويتوجع من قلب محزون * ويقول أنا لله وأنا إليه راجعون
فانستهظمت أمره وشغقت عليه * واستصغرت كبار الأمور
بالنسبة إليه * وسأله عن حاله ومصابه * وسبب حزنه واكتابه
فقال بالله دعني * ولا تسأل عن حزني * فإنه شديد * وخصمي عنيد
فقلت أعلمني بواقعة الحال * ومن يكون خصمك من الرجال * عسى
أن تجد لك عن يدي فرجا * ومن هذه الشدة خلاصا ومخرجا * فإن
مصابك قد أثر بي * وزادني كربا على كربى * قال خصمى هو
إبراهيم * الذى لا يحسن على قلب سقيم * ولا يشفق على أرملة أو يتيم
قلت له بماذا جار عليك * وأوصل إذا ما إليك * قال كان لي أخ صغير
كنت أحبه الحب الكثير * وكان عوفى وسندى * وأعز على من
ولدى * فأخذته منى رغما وجبرا * وأدخله في سلك عسكره غصبا
وقهرا * وأضرم في فؤادى أهبا وجرا * وجعلنى أبكى عليه طول
الدهر * وجرعنى لوعة الخنساء على أخيه الصغير * فلما سمعت مقالته
عذرتة واستعظمت حاله * وقلت أعلم يادرويش الخير * وقال الله
كل بؤس وضير * لقد تكلمت بالصدق * ونطقت بكلام الحق * فإنه
رجل صارم * وحاكم ظالم * قد أحرق جميع فؤادنا * وأخذنا أكثر
أولادنا * وأدخلهم في سلك العسكر * وجعلنا نتحسر عليهم ونتمرد

* نسأل الله وهو ذم المسؤل * ان ينتقم منه بجاء الرسول * ويرفع
 عذابه * ويكفينا اذاه وشره * وما زلت احادثه بمثل هذا
 الكلام * وأهون عليه الامور العظام * وأطعن في ابراهيم باشا
 وأدعو على حكمه ان يزول ويتلاشى * وهو ينفخ ويتعامل * ويسمع
 كلامي ويتأمل * حتى تغترب حالته وارتاح * واستبدل ذلك الحزن
 بالارتياح * وبشبع ما كان قد عيس * وجعل ينظر في ويتفرس
 ولما انتهيت من هذا المقال * التفت الى وقال * جزاك الله عنى خيرا
 ووقاك ثبوسا وضيرا * لقد زالت الآن كربتي * وهانت على مصيبتى
 ثم قال ان الله * ولا حول ولا قوة الا بالله * من مصائب الدهر وبلاياه
 ثم نهض فوقف * وودعنى وانصرف * ولم تكن الساعة من النهار
 حتى احاط بي ثلاثة أنفار * وقالوا قم يا فلان * فان ابراهيم باشا
 يدعوك الآن * نفق في قوادى واضطرب * وقلت لهم يا للعجب * ما هو
 الداعي لهذا الطلب * فأتى رجل فقير * لما ذا يريد منى حضرة
 الوزير * فقالوا قم بالعجل * ولا تسأل * فزاد خوفا واحتسبت *
 وقت معهم وذهبت * وما زلت افسر * حتى وصلنا الى قصر كبير
 فادخلوني الى حجرة لطيفة * تحتوى على تحف طرية * من القروش
 الفاخر * وأنواع الانسجة والحرائر * التى تدهش البصائر *
 وتذهل العقول والنواظر * فوجدته جالسا فى صدر المسكن *
 وحوله جماعة من الاعيان * وقواد العساكر والفرسان * فتأملته

بالعيان * واذا به ذلك الانسان * الذي زارني في الدكان * وجرى
 لي معه ماجرى وكان * فتقدمت اليه * وقيلت الارض بين يديه
 فقال اعلم يا فلان * انه قد بلغني عنك الآن * من بعض الاعوان
 بانك تطعن في حكمي * وتشككون من جورى وطلعي * وقلت عنى
 ما هو كذا وكذا * ونسبتنى الى التعدى والاذى * فاذا كرلى الآن
 ما الذى رايت منى من الظلم والمعدوان * حتى تكلمت بذلك الكلام
 المستحق للعقاب والانتقام * فانقطع ظهري * وحررت فى امرى
 وأيقنت بالهلاك والدمار * ولم يسعنى الا الاعتذار * ف وقعت على
 قدميه * وأخذت اتنى عليه * وقلت أيها المولى الهمام * ومن هو
 زينة الايام * وتاج الوزراء الفخام * انى أسألك برب الانام * الذى
 رفعك الى هذا المقام * وفضلك على جميع الخلق * بالحلم وكرم الخلق
 ان تغفوبحك عنى * وتصفح عما فرط منى * لان عدلك مشهور
 وفضلك غير منكور * فاللسان يقصر فى شرح أظافك * والقلم
 يعجز عن ان يقوم بحق أوصافك * ولا أحد من الناس * من جميع
 الأجناس * الا ويشكر من حضرتك * ويثنى على دولتك * الا
 الدراويش الفقرا * الذين أخذت اخوتهم عسكرا * فانهم
 يستعظمون ذلك الامر * ويعتونه من باب الظلم والغدر * وليس
 هذا بذل على ظلمك * ولا على عدم انصافك وجور حكمك * لان
 هذا الترتيب والنظام * قد سنده قبلك ملوك الانام * وهو من اهم

الامور العظام * اقيام ناموس الرياسه * وضبط امور السباسبه
 لان الشوكه والعزله * وقيام قوه الدوله * تحتاج الى العساكر
 والاجناد * لحفظ راحة البلاد * وصيانة الاموال والعباد * وبدون
 ذلك * تحتل قواعد الممالك * ويستطيل المملوك على الممالك
 والقوى على الضعيف * والجفير على الشريف * فيكثر النزاع
 والجدال * ويعم الشر والو بال * وليس من يرد ولا يدفع * ولا من
 يحامي او يمنع * واما وجود الرجال والابطال * فيستقر الملك
 وتنظم الاحوال * وتستقيم امور الناس * وتنشيد دعائم السلطنة
 على اقوى اساس * على ان الشعوب الاخرنجيه * في الممالك
 الاجنبيه * تؤد الخدمه العسكريه * وتعد لها من اكبر الشرف *
 وتقض لها على باقي المهن والحرف * وتدخل فيها بالطوع
 والاختيار * لا بطريق الكره والاجبار * اما لا بالتقدم وبلوغ
 الارب * والحصول على الوظائف والرتب * بخلاف اهل
 عربستان * لانهم لم يعتادوا عليها قبل الآن * فيرونها امر اعظم
 الشأن * لداعي فرقة الامل والخلان * وابتعادهم عن الديار
 والاطمان * فيتوههمون الفرح حزنا وغما * ويرون العدل جورا
 وظلما * وان الذي سمعته عنى * لم يكن عن قصد منى * وانما كان
 حل المقصود * تسليه ذلك الدرويش المعهود * وتعزيتة عن حزنه
 الشديد * على فقد اخيه الوحيد * وهذا الذي تم وجرى * بتقدير

رب الورى * حتى أتشرف بمقابلة جنابك * واثم ساحة أعتابك
وقد تراميت الآن عليك * وشرحت قصتي بين يديك * لانك ولي
النعم * ونخر سادات الاعم * وجميع الحكام عندك كالخدم * وليس
فوقك أحد * الا الواحد الصمد * فلا زالت أيامك في عز واثراج
وتوفيق ونجاح * فما ظلم الليل وأشرق الصباح * فتبسم ضاحكاً من
هذا الخطاب * وقد أعجبه غاية الإعجاب * ثم طيب قلبي * وصفح عن
ذنبى * وأمرني بالجلوس فجلست * وآذنتني بحديثه فاستأذنت
وبعد هذا الحديث والكلام * أمرني بالفي غرض على سبيل
الانعام * وقال قد أزعجتناك الآن * فقم واذهب بآمان * فدعوت له
بطول العمر * ودوام العز والنصر * وخرجت من عنده منشرح
الصدر * متعجباً من هذا الامر * ولم أرفى حياقي احلم منه ولا أطف
ولا اكرم خلقاً ولا أطرف

في حسن معاملة ابراهيم باشا للرحوم والدي

كفاني الله شر عدوى وحاسدى

وكان ابراهيم باشا محباً للسيدى المرحوم الوالد * والاب العزيز
المناجد * وهو يعقوب أغا المشهور * صاحب الفضل والصيت
المشكور * الذى كان من أكبر زماته واجود أهل عصره واوانه
وكان يزوره في أكثر الاحيان * ويعامله بالطف والاحسان *

ويخلع عليه الخلع الحسان * كما هو معلوم الخاص والعام * من أهل
بيروت وبر الشام * وبهذه الوسيلة ارتفع أبي بفضله جاهها وقدرها
واكتسب بصفاء انظاره شرفا ونفرا * وكان مسموع الكلام
مرفوع المقام * عند الولاة والحكام * مقصدا لحل المعاهد
والمشاكل * وكهفا تلجئ اليه الايتام والارامل * وكان من جملة
مساعدته الخيرية * وافعاله الحميدة المرضية * أنه أطلق عشرة
انفار من أهل بيروت من الخدمة العسكرية * ممن كانوا فقراء
الحال * واصحاب عيال * منهم أحمد مرزا البيروني * وعبد الرحمن
المغربيل وأحمد العانوتي * وأحمد طقطق الدلال * وغيرهم من
الرجال * وهذا حظ عظيم * والتفات جسيم * لم ينله غير والدي من
مكارم جناب ابراهيم * وهذه المعاملة الجميلة * هي التي حملتني الى
جمع ما أثره الجليل * وتدوينها في هذا الكتاب * ليبقى ذكرا
لحضرة على مدى الاجقاب * فلورآه وتأمل فيه * والطلع على
ظواهره وخوافيه * وتلا العبارات المتعلقة بحروبه ومغازيه *
لاغناني وبلغني المرام * ورفع رتبتي الى أعلى مقام * شعر
كأن لو تـلا ابراهيم يوما * صحائفه لبلغني مرامي
وأغناني على رغم الأعادي * ورقاني الى أعلى مقام
* (الباب الثاني عشر) *

في تمرّ ددروز حوران * وانقيادهم الى الطاعة بعد العصيان

فلما استخلص ابراهيم باشا قطر الشام * وصفت له الايام والايام
 كما تقدم الكلام * أنسل الاوامر والمناشير * الى الامير بشير
 يطلب منه ان يجمع من الدروز افا ومائتي نفر * ليدخلهم في
 سلك العسكر * فامتثل امره وبادر بالعجل * واستدعى اليه
 اكار دروز الجبل * واخبرهم بما كان * وعين على كل مقاطعة كمية
 من الثبان * وأمر ذوى المناصب * وأر باب الوظائف والمراتب
 ان لا يأخذوا من ليس له عوض * ولا من يكون به علة أو مرض
 وان ينتخبوهم من ابن خمس عشرة الى ابن خمس وعشر بن سنه *
 وحدد اهرم في ذلك مدة معينة * فلما شاع هذا الخبر * وغابين
 الدروز وانتشر * أثر ذلك في قلوبهم أعظم أثر * فهاجت منهم
 الثبان * وأظهروا الخلاف والعصيان * فغضب الامير من اعمال
 الدروز * وقال لهم انكم تريدون ان تعصوا الحكومة وذلك
 لا يجوز * فيلزم ان تطيعوا الاوامر * والادهمكم بالعساكر *
 ونهب أموالكم * وقتل أطفالكم * ثم جمع الى بيت الدين *
 جميع المطلبين * وأرسلهم الى عكا بالقوة الجبرية * امثالاً
 للاوامر السابقة * وهناك ادخلوهم في سلك العسكر به * واتفق
 بعد ذلك بنحو عام * ان ابراهيم باشا كتب الى شريف باشا والى
 دمشق الشام * يأمره باخذ عسكر نظام * من دروز حوران *

ووادي التيم وأقليم البلان * فاجاب بالسمع والطاعة * وشرع في
 ذلك الامر من تلك الساعة * فلما بلغ الدروز هذا الخبر * زاد
 عندهم القلق والاضجر * فاطهروا له القمرد والعناد * وعدم
 الطاعة والانقياد * فازداد شريف باشا عليهم حنقا وكذرا *
 وأرسل لمحاربهم عسكريا * فلم يظفر منهم بمراد * لانهم كانوا قد
 اتحدوا مع عرب تلك البلاد * وانضاف اليهم جماعة من دروز لبنان
 وسكان وادي التيم وأقليم البلان * وغيرهم من أهل البغي والفساد
 تحت راية الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العماد * حتى
 صاروا في عشرة آلاف مقاتل * بين فارس وراجل * فكانوا
 يربطون ممالك الطرق * وينهبون القوافل بين بيروت ودمشق
 ويقتلون من استفردوه من عسكري النظام * ولم ينظروا في كل
 ذلك لعواقب الايام * فلما رأى شريف باشا ما فعلوه * أرسل اليهم
 عسكريا آخر فخار بوه وهزموه * وكانت دروز وادي التيم وأقليم
 البلان * ينجدونهم بالرجال والفرسان * ولما بلغ ابراهيم باشا هذا
 الخبر * استولى عليه الغيظ والكدر * وكتب الى أمه بمصر
 يعلمه بهذا الامر * وطلب منه ارسال عسكري من الأربناوط
 بالعمل * لان عسكري النظام يتعسر عليه الحرب في الجبل * فجهز
 له أربعة آلاف مقاتل * تحت لواء مصطفى باشا كامل * وكان بطلا
 هماما * وشجاعا مقداما * فوصل في أقرب زمان * الى عربستان

وحارب الدروز في الوعره * سنة ألف ومائتين واحد و خمسين من
 الهجره * وجرت بينه وبينهم عدة وقائع منكره * في تلك الاماكن
 الموعره * وكانت دروز البلاد * ومن اشترك معهم في هذا
 الفساد * تجدهم أولا سرا * ثم علنا وجهرا * تحت راية شبيل
 العريان * وكان من فحول القرسان * موصوفا بالشجاعة وقوة
 الجنان * فغضب ابراهيم باشا بهذا السبب * وكتب الى الامير
 بشير من حلب * يذكر له ذلك الخلال * الواقع من دروز الجبل *
 وبأمره أن يبادر في الحال * برسالة حفيده الامير مجيد قاسم في
 جماعة من الابطال * الى وادي التيم وأقليم البلان * لارهاب
 دروز البنان * لئلا ينجدوا دروز حوران * وان يرسل حفيده الامير
 محمود خليل الى حاصبيا على الاثر * في الف وخمسمائة نفر * ليقم
 في دار سرايا الاحكام * مع عسكر النظام * فاجاب وامتل
 وارسلهما على عجل * ولما بلغ الامير مجيد اقليم البلان * أطلق
 الغارة على العصاة المتجمعين في ذلك المكان * فهزمهم على اعقابهم
 واستولى على اسلابهم * بعد ما قتل منهم مائة وخمسين رجلا * وملا
 قلوب من بقي خوفا ووجلا * وأما الامير محمود * فترل في دار السرايا بمن
 معه من الجنود * وفي اثناء ذلك قدم ابراهيم باشا الى حاصبيا للانتقام
 من الدروز * وكان وصوله اليها في اليوم الخامس من شهر تموز
 وكان قد باغ الدروز في بعض الايام * انه قادمة ذخائر الى عسكر

النظام * من مدينة دمشق الشام * فطمع الشيخ حسن جنبلاط
بنيها * وأرسل خمسمائة نفر لاخذها وسلمها * فالتقوا بها في بعض
الطريق * وكانت عدة سناديق * من البارود والدقيق * فلما
أبصروها * انقضوا عليها واستخلصوها * واتفق في ذلك الوقت
قدوم مصطفى باشا من الوعرة بالعساكر * فالتقاهم في الطريق
واستخلص منهم المؤن والذخائر * فلما بلغ الشيخين هذا الخبر *
بادر الشيخ حسن على الاثر * وقصد ذلك المكان بسبع مائة نفر *
وتبعه الشيخ ناصر الدين * بستمائة وخمسين * ولما أشرقوا على
المكان المعهود * أطلقوا على مصطفى باشا نيران البارود وعلا
صيحجهم كاصوات الرعود * فاستقبلتهم الارناؤط بقلوب كالجمال
واشتبك بينهم القتال * وأخذت نيران الحرب في الاشتعال * حتى
ترزمت من صيحجهم أرض وادي التيم * وكان الرصاص يتناثر كالبرد
ودخان البارود غطى الآفاق كالغيم * واستمر القتال بين الفريقين
نحو من ساعتين * وكان ابراهيم باشا يومئذ في حاصبيا بالقرب من
ذلك المكان * فلما بلغه الخبر نهض مسرعا باربع مائة مقاتل من
الفرسان * ولما وصل الى ساحة المعركة * ورأى تلك الاحراب
المتجمعة * أطلق عليهم النار الدائمة * وأمر العساكر ان تبادروهم
بالمهاجم * فاطبقوا عليهم من كل جانب * وحملوا عليهم
كالسلاهب * وضيقوا بهم المسالك والمذاهب * وأخذوا يذبونهم

كالغنم * ويقطعونهم تقطيع لحم على وضع * وقتلوا منهم ستمائة
 وعشرين * وكان من جملة المقتولين * الشيخ ناصر الدين * ولم ينج من
 اصحابه سوى خمسين * وأما الشيخ حسن جنبلاط * ومن بقي معه
 من مشايخ الارهاط * فلما أيقنوا بالعطب * وعلموا ان لانجاة
 لهم الا بالهرب * ولوا بكل خفة وسرعة * وقصدوا قرية شعبة *
 فدفعهم ابراهيم باشا في ثاني الايام * بجموع الارناؤط وعسكر
 النظام * فانقلبوا على أعقابهم يطلبون الفرار * وقتل منهم جملة
 انصار * وفر شبل العريان * بمائة فارس الى حوران * ودخل
 المصريون الى القرية فنهبوها * وقتلوا من وجدوا بها من العصاة
 وأحرقوها * ولم يبق من أهلها الا من كان طفلا * أو نائحة تصرخ
 صراخ الشكلى * ثم أحرقوا بعدها أكثر القرى * وتركوها عرة
 لمن يرى * فندمت الدروز على ذلك الرأي الوخيم * ولم يعد يمكنها الا
 الانقياد والتسليم * والامتناع لاوامر ابراهيم * ولما يشق شبل
 العريان من بلوغ الوطر * ورأى نفسه عرضة للخطر * ندم على
 سوء عمله * وأيقن بحلول أجله * فحضر في جماعة من الابطال * الى
 ابراهيم باشا صاحب السعادة والاقبال * فاعتذر اليه * ووقع على
 قدميه * ملتمسا منه الرضى * والاعفوع عما مضى * فتعطف عليه
 براحته * وصفح عن جرائمه * وغمره في بحر كرمه * ونظمه في سلك
 خدمه * وجعله قائدا على ألف فارس من الهوارا * فاكتسب

فخر واعتبارا * وتحسنت أحواله بهذه الخدمة * وصار له بين
الناس منزلة وحرمة

* (الباب الثالث عشر) *

حرب ترز

وفي سنة ١٢٥٥ هجرية * الموافقة سنة ١٨٣٩ * مسيحية *
صدرت الأوامر السلطانية * إلى حاقظ باشا أن يتجهز في الحال *
ويسير بالرجال والأبطال * لاستخلاص بلاد سور به * من يد الدولة
المصرية * فامتثل الأمر المطاع * وسار على قدم الأسراع * في
سبعين ألف مقاتل * بين فارس وراجل * فأصداعر بستان * من
غير تأخير ولا توان * ولما بلغ إبراهيم باشا البطل المغوار * والأسد
الكرار * قدوم هذا العسكر الجرار * استعد طربه وقتاله
وزحف باربعين ألفا من رجاله وأبطاله * للاقائه واستقباله * وما
زال سائرا بهذا المركب * حتى انتهى إلى ترز * وهو سهل فسيح
الرحاب * بين براجيلك وعين تاب * وكان وصوله إلى ذلك المكان
يوم الخميس الواقع في الرابع والعشرين من حزيران * فنزل على
شاطئ نهر هنالك * بقرب معسكر الأتراك * ولما ضربت الخيام
واستقر به المقام * أصدر الأوامر * إلى قواد العساكر * بأن
يكونوا عند الصباح * مستعدين للحرب والكفاح * ثم استدعى

رجل كان يركن اليه * ويعتمد في كشف الدسائس عليه * يقال
 له سليمان * وكان قوى الجمان * فصنع اللسان * ناجحاً في قضاء
 الحاجات * غارقاً في كثرة اللغات * لا يبالى بالاهوال والمشقات
 يذهل الالباب * بعدوياً بالخطاب * ويسبق الطير * بسرعة السير
 فأمره ان يتأهب ويسير * ويتجسس أحوال تلك الجواهر * ويميز
 قوادهم وعساكرهم * وينظر بعين فراسة أمورهم وأوامرهم
 ويأتيه بحقيقة الخبر * قبل طلوع السحر * فاجاب وامتلئ
 وسار على عجل * قاصداً تلك العساكر * كأنه الطير الطائر * حتى
 وصل الى مضاربهم * واختلط في مواكبهم * ثم قصد الصيوان
 الكبير * الذي يرسم الوزير * وبعد ان اختبر الاحوال * ووقف
 على حقيقة الحال * رجع على الاثر * وأخبره بما شاهد ونظر * من
 احوال القوم وحركاتهم * وكثرة ذخائرهم ومهماتهم * وما هم عليه
 من الاستعداد * والتأهب للحرب والطراد * ثم قال له في آخر
 الكلام * اعلم ايها البطل الهمام * اني رأيت جاقظاً باشافي
 الصيوان * وهو جالس على الديوان * كأنه ملك أو سلطان * ومن
 حوله القواد والإعيان * وفي يده اليمن * بأسورة من الياسين
 عليها طقم من الكهرزباء الفاخر * ضرب عانة فيس الجواهر
 وبينما أنا أراقب أحوالهم * واسمع خطابهم ومقالاتهم * اذ
 أحضرت الخدام * مائدة الطعام * فكانت عدة أنواع فاخرة

واجناس متكاثره * أكثرها من لحوم الدجاج والضأن *
 والحلويات المختلفة الالوان * ولما فرغوا من الاكل والشرب
 أخذوا يتفاوضون في أمر الحرب * وقد عولوا عند الصباح * على
 القتال والكفاح * وهم يؤملون بالنصر والنجاح * فلما انتهى من
 شرحه وخطابه * تبسم ابراهيم باشا صاحب كامن وصفه والطنايه
 وكان عنده جماعة من أكابر قواده واصحابه * قد اجتمعوا للمشورة
 والكلام * والمذاكرة في أمر الحرب والصدام * فقال لقد صدقت
 فيما وصفت ونظمت * ولا تسكمت وأخبرت * الا بما سمعت ونظرت
 وعانيت وأبصرت * وليكننى أسألك يا سليمان * بحضور هؤلاء
 الاعيان * أما وجدت بينهم وزيرا * أوقاندا كبيرا * يقترش الارض
 سريرا * وينام تحت ظل الشمس والقمر * ويسند رأسه على
 حجر * ولا يبالى بالمشقة والخطر * ولا بانواع الطعام المقتخر * ان
 غاب أو حضر * فقال وحق الاله الواحد * انى ما وجدت ولا واحد
 وما هم الا كالعرائس * يتقلبون في صدور المجالس * فى أنحر الحلال
 والملايس * وعلى صدورهم النياشين المرصعة * وبين أيديهم
 الاطعمة المتنوعة * وهم جالسون فى الخيم * ومن حولهم الحواشي
 والخدم * فلما سمع كلامه * زاد ضحكهم وابتهسامه * وقال له اذا
 كنتوا على ما تقول * فسوف نبليهم المأمول * ونفرقهم عند طلوع
 النهار * بين الروابي والقفار * يعون الواحد القهار * قلت وما

كان قصده بذلك السؤال * ان يقف على حقيقة الاحوال * لانه
 كان عازقاً بحالهم * عالماً بصفتهم وخصالهم * وما هم عليه من
 الدلال * ورعاية الحال * ولكن كان جل قصده ومراده * ان
 يشجع قلوب جنده وقواده * على الحرب والقتال * والثبات في
 ميدان النزال * ولم تكن تلك الاوصاف البديعة * والمناقب
 السامية الرفيعة * من علو الهمم * ومكارم الشيم * والجلود
 والكرم * الا فيه دون باقي الامم * لانه كان من عجائب الزمان
 وافراد العصر والوان * ذو سعة واقبال * وهيبة وكمال * عديم
 المثال * بين الرجال * خبير بأمور الدهر * كثير الجلد والصبر
 لا يعل ولا يضجر * ولا يح اب الموت الاحمر * وكان مع هذا البطش
 والاقدام * وعلاوا الجاه ورفعة المقام * لا يكثر بالطنطنة والعظمة
 ولا يبالى بانواع الاطعمة * بل كان يقنع بما تيسر * من طعام
 العسكر * بدون أدنى التفات * الى معاطاة المشروبات * ويواظب
 في أكثر الاحيان * مع الابطال والفرسان * على الحراسة والسهر
 الى وقت السحر * فكانت تحيل اليه النفوس والقلوب * وينتصر
 في الوقائع والحروب * ويفوز بالمقصود والمرغوب * وكان عند
 فراغه من هذا الخطاب * الذي يهيج الشيوخ والشباب * ويشجع
 الذليل الجبان * على الحرب والطعان * وملاقاة الشجعان
 استحسنه القواد والاعيان * ومن حضر في ذلك المسكان * غاية

الاستحسان * لان كلامه عنهم لم يكن هزوا واحتقارا * ولا وصفه
 لنفسه مباهاة وافتخارا * كما جرت عادة الجبابرة * أو بعض
 الملوك الظافره * في التهديد * والوعد والوعيد * ولم يتكلم الا
 بالواقع حيث صار بهم في جملة واضح * وهزمهم في عدة مواقع *
 وكانوا أضعافا في العدد * وأكثر في الذخائر والعدد ثم تفرقت
 الناس الى الخيام * بعده هذا الحديث والكلام * وبقى هو مع نفر
 واحد اسمه محمد بن راشد * كان في خدمته * مختصا بخدمته * حدثني
 محمد المذكور * قال لما انصرف الجمهور * بقي ابراهيم باشا وحده
 ولم يكن أحد غيره عنده * فاخذ يتمشى في الصيوان * نحو ساعة من
 الزمان * ثم جلس على الطراحة * ليأخذ لنفسه راحة * فبينما هو
 جالس * كانه الليث العايس * واذا باربعة مدافع * أطلقها
 العدو من عدة واضح * فوثب قائما على قدميه * وناداني قلت
 بن يديه * فقال لي يا محمد * ما هذا الذي تتحدث * فقلت حفظك الله
 وأبقائك * وادام عزك وعلاك * ونصرك على حسابك واعداك
 أنا أني هذا السؤال * وأنت أعلم بواقعة الحال * فتبسم ضاحكا
 وقال * اني لا اسمع الاصوت حصي تنز به الريح * أو حفيف شجر
 لعب به نسيم الصباح * ولما طلع النهار * وشعشت الشمس
 بالانوار * فرعت طبول الحرب * وتأهب العسكر للطعن والضرب
 وفي الحال انتشرت البيارق * وخفقت الرايات والصناجق *

واسطقت المراكب والفرق * ولع السلاح وبرق * وانقضت *
 الجنود الى اقسام * وتقدمت الى امام * وانفذت بسرعة واهتمام *
 كأنها بيوت الآجام * أو صواعق الغمام * وكانت العساكر
 العثمانية * قد أقبلت بقلوب قوية * وهم عليه * وهي تموج
 في تلك البطاح * كما يوج البحر اذا لعبت به عواصف الرياح * ولما
 تدانى العسكران * واقترب الجيشان * أمر ابراهيم باشا
 المعامع * باطلاق البواريد والمدافع * فأطلقت في الحال *
 وانتشبت بين الفريقين القتال * وترزلات الارض بالزلزال * ثم
 هجمت الجنود المصرية * على الجيوش السلطانية * وانقضت
 عليها كدواسر العقبان * أو أسود خفان * فالتفتها عساكر
 السلطان * بقلوب أقوى من الصوان * وأخذت معها في الضراب
 والطمان * وحينئذ اختلطت الصفوف بالصفوف * وتمكنت
 في الاجسام الحراب والسيفوف * والتفت الميقات بالمقاتلات *
 والالوف بالالوف * ودارت على القوم كدوش الخنوف * وكان
 يوم شديد الاهوال * تشيب من هوله الاطفال * فيه كثرت
 القتل والجراح * وطارت الجماجم عن هياكل الاشباح * باسنة
 الحراب وتنفار الصفايح * وغلب الفساد على الصلاح *
 وحجب القتام نور الصباح * وحامت ملائكة الموت على الارواح
 ونعق فوقهم غراب البسين وناح * وارتمت الارض من الضجيج

والصباح * وأصوات البوار وذو قعدة السلاح * فلهذا إبراهيم
 باشا لبث البطاح * وقارس ميدان الكفاح * فانه خاض معركة
 القتال * بقاب أقوى من الجبال * وحكم سيفه في صدور الأبطال
 وأظهر بشجاعته العجائب والأهوال * وفعل في ذلك اليوم المنكر
 فعلا لا يحجز عنها أبوالقوارس عنتر * فتقوت بحملاته قلوب العسكر
 وانصدموا على أعدائهم كعارض المطر * وعرضوا نفوسهم للخطر
 في سبيل نيل الوطر * واستمر القتال على هذا الشرح والوصف
 نحو ثمان ساعات ونصف * وكانت قد كادت عساكر الأتراك *
 ووقعت في سوء الارتباك * وأيقنت باليأس والهلاك * من تواتر
 الحملات * وضرب السيوف * وطعن السنكات * فتأخرت إلى
 الوراء * وتقهقرت في تلك الأحرار * طالبا لمرعى وتلك الأطراف
 بعد أن قتل منها نحو ستة آلاف * وأسر حاقظ باشا وزبيرا * ومدير
 أمورها ومشيرها * واستحوذ المصريون على مهماتها وأثقالها *
 واستولوا على ذخائرها وأموالها * ورجع إبراهيم باشا ظافرا
 منصورا * وعدوه مدبراهم هورا * وانتهى إلى الاستانة خيرا هذا
 النصر السعيد * بعد ثمانية أيام من وفاة السلطان محمود وجلوس
 ولده السلطان عبد المجيد

في خروج الحكومة المصرية * من أقطار سوريا * بعد
 تحروبها ثلثة قرون * وانتقال محمد باشا و ابراهيم
 باشا الى رحمة رب البرية

وكان بعد أن فاز ابراهيم باشا وانتصر * في حرب نرب كما تقدم الخبر
 ورفعت جيوشه رايات النصر والاستظهار * وحل ما حل بأعدائه
 من السقوط والانكسار * حذرت الدول الا فرنجية * ان يفتح
 القسطنطينية * ويحلس على تخت السلطنة العثمانية * ولذلك
 اتحدت الدولة الانكليزية * مع الدولة الروسية * والنمساوية
 والبروسية * على ترجيعه من تلك الديار * امانا بطوع والاختيار
 أو بطريق الاكراه والاجبار * فعقدوا في مدينة لندن جمعيه
 في اليوم الخامس عشر من تموز سنة ١٨٤٠ مسجيه للبحث
 والمفاوضة بهذه القضية * وبعد عقد جلسات متعدده * فرضوا
 عليه شروطا واحكاما مقبده * وامضى بالمصادقة عليها * كل من
 تلك الدول المشار اليها * فكان جل ما سطروه * وفخوى ما
 استحسنوه وحرروه * هو تقرير داله امام الاعظم * والحمد لله
 الاكرم الانعم * محمد علي باشا ذي الاخلاق الرضيه * على ولاية
 الاقطار المصرية * مع قسم صغير من الديار الشاميه * ويكون ذلك
 من بعده * لذريته وأولياء عهده * وشددوا عليه في الكلام * انه من
 بعد وقوفه عليها بعشرة أيام * يسحب عسكره من اطراف الشام

* بلا نزاع ولا خصام * فعند وقوف حضرة الخديو على هذا الطلب
 الذي يستحق العجب * عظم الامر لديه * ولم يصادق عليه * فما
 كان من الملوك المتحمدين * والدول المحتشدين * الا انها اتفقت مع
 الدولة العلية * باشهار الحرب على الحكومة المصرية * وأرسلت
 الدولة الانكليزية سنة ١٨٤٠ م بحية * عمارة بحرية *
 مشحونة بالعساكر والمهمات الحربية * الى أسا كل سوريه
 تحت قيادة اللورد * روبرت ستانفورد * فحرب بيروت الضرب
 المهول * فسلمت في الحادي عشر من شهر أيلول * وأما باقي الثغور
 كطرابلس وصيدا وصور * فحيث لم يكن فيها من القلاع * ما يقوم
 بنحو الدفاع * اضطرت أيضا الى التسليم * بعد جهاد عظيم * ولما
 استولوا على هذه الأسا كل * شحذوها بالعساكر والخافل *
 وقصدوا قلعة عكا الشهيرة * بتلك المراكب والقوات الكثيره
 وأطلقوا عليها مدافعهم وقنابلهم * وكانت المدينة تحاربهم
 وتناضلهم * وجنودها تتجدد في نيل مرار كز المجدد والظفر * غير
 مبالية بالاهوال والخطر * واستمر القتال * على هذا المنوال *
 ثلاث ساعات بلا انقطاع ولا انفصال * فاتفق بأمر الواحد الا حد
 والفرد الصمد * وقوع كاة على ججانة البلد * فاحترقت في الحال
 وقتلت عددا كثيرا من الرجال * وبهذه الوسيلة ضعفت قواها
 وسلمت الى اعدائها * وكان حدوث هذا الامر الراني * في اليوم

الثالث من شهر تشرين الثاني * وحينئذ استولت عليها العساكر
 الاجنبية * ولما رأت الحضرة الخديو * انها امست تخارب اقوى
 الدول الاورباوية * سحبت عساكرها من الديار الشامية * بعد
 حروب عديدة * ووقائع هائلة شديدة * وما زال محمد علي باشا في عزه
 ونفوره * ونهيه وامره * الى ان بلغ الثمانين من عمره * فاعتراه
 مرض سوداوي احدث خللا في فكره * الذي كانت تضرب بهجته
 الامثال * وتسمد به فلول الرجال * وبعد ذلك بسنة انتقل الى
 حواري الملك العلام * وكانت مدة حكمه خمسا واربعين سنة وعشرة
 ايام * وكانت وفاته في اليوم الثامن من شهر آب سنة الف
 وثمانمائة وتسع واربعين * مسجبه * الموافقة لسنة الف ومائتين
 وخمس وستين هجرية * فتقطعت عليه القلوب حشرات * وانسكبت
 لفقده العبرات * وعظم ذلك على جميع اهل مصر * وتاحوا عليه
 نواخ الخفساء على منخر * فسبحان الحي الدائم * صاحب الملك
 والجبروت * والحمد الذي لا يتغير ولا يموت * وكان يلقب بالخديو
 وجرى هذا اللقب من بعده * على خلفائه واولياء عهده * وكان
 ابراهيم باشا صاحب الجاه والفخر * قد استولى بعد تنازل ابيه على
 احكام مصر * وقد ذكرنا فيما تقدم * مناقب هذا الاسد
 الغشيم * والخديو الاعظم * وما اجرى الله على يده من الفتوحات
 السعيدة * والانتصارات العديدة * فلما استبد بزمام الاحكام *

قام بتدبيرها أتم قيام * فعامل الناس بالمعروف والكرام * واصح
 بين الذئب والغنم * واقتفى أثر والده في العدل وعلو الهمم *
 ومكارم الاخلاق وحسن الشيم * ومن يشابهه أبه فظالم * وكان
 حضرة مولانا السلطان عبد المجيد خان * استدعاه الى سدة
 المنية * وزبارة حضرة الشريفه * فدخل القسطنطينية * عام
 اربع وستين ومائتين والف هجرية * فقابل به بالتجيب والاكرام *
 واحترمه غاية الاحترام * وفوض اليه أحكام الديار المضربيه *
 وخلع عليه الخلع السني * ورجع بالعز والاقبال * على أحسن
 حال وأنعم بال * واستقر في ولايته الزاهرة * ولواثق السعد في
 غرة جبينه ظاهره * وما زال السعد خادما * والعزم صاخبا
 وملازمة * الى ان أدركه الاجل المحتوم * واستوفى عمره المعلوم *
 وكانت وفاته في اليوم العاشر من شهر ربيع الثاني سنة الف
 ومائتين وأربع وستين هجرية * ودفن باحتفال عظيم
 بمصر المحمية * وهو ابن اثنتين وستين سنة * رضي الله عن مساعيه
 الحسنة * وكانت مدة ولايته احدى عشر شهرا * وورثاه شعراء
 العصر بكل قصيدة غزرا * فمن ذلك قول الفاضل الاديب * والشاعر
 اللبيب * فخر الادباء البارعين * السيد محمد شهاب الدين
 صبراعلى ما قدمضى * اذ لا خلاص من قضا
 كيف التصبر والمنا * يا ذات غضب منتضى

أودت بإبراهيم مذ * بلغ المقام المرتضى
 واليه آل الأمر في * حكم الأيالة وانقضى
 لمضى وقت مؤرخا * الله يرحم من مضى
 فبكت عليه الناس * من جميع الأجناس * ونصبت له الحكومة في
 القاهرة تمثالا من النحاس * وأقامت أيضا للحضرة الخديو به
 تمثالا في الاسكندرية * رجهما الإله الرحمن * وجعل ذكرهما
 محمدا على طول الزمان

* (الباب الخامس عشر) *

في ما ترحضرة الاميرة السكرية * والدرة اليتيمة * ذات
 الفضائل العديدة * والآراء الصائبة المستقيمة * قرينة
 ابراهيم باشا الفخيمة * وجدة جناب ولي النعم * مولانا
 توفيق باشا الخديو المعظم * أبد الله مجدها
 وتوفيقها * وجعل السعد خادمها ورفيقها
 انه اذ كان استوفينا الآن * مناقب حضرة ساكن الجنان *
 ابراهيم باشا العظيم الشأن * فيليق بنا قبل ان نتمد بالكلام * في
 تراجم حضرات أولياء الامور العظام * ان تذكر في هذا المقام *
 حضرة قرينته الرفيعة المقام * المدوحة من الخاص والعام *
 وما قد خصها الله به من الكمال * ومحاسن الخصال * دون باقي

النساء والرجال * حتى يكون هذا التأليف * من يتأيد كراسمها
الشريف * اذ انهم باقرية ذلك الاسد * وهي أحق بالتناء والمدح
من كل أحد * لاني من جملة من غمرهم نداما * وعظمهم احسانها
ونعمها * فاقول هي تاج المخدرات * وزينة النساء الموقرات *
ولاية النعم * وسحابة الجود والكرم * المجملات بحلل السكال والوقار *
المتصلة بها سلسلة الشرف والفخار * صاحبة الجاه والاعتبار *
الاميرة الجليلة خوشكار * من باهت نساء الارض شرفا ونسبا *
وفاقت عليهن جودا وحلما وأدبا * كيف لا وهي زينة هذا
العصر * والجوهرة الثمينة في بر مصر * التي تعطرت بحسن
شمائلها الاكوان * وأقر بفضل دولتها كل انسان * وشاعت
مكارمها في أقاصي المدن والبلدان * حوت اللطائف والظرائف *
وأجازت أهل الفضل والمعارف * ووافقت المدايح والاشعار * من
جميع الاقطار * ومما قلته فيها * أدام الله سمومها ليها * وجعلها
سيدنا مسلولا على رقاب حسادها وأعاديها

باهت ما يثرها الكرام * وتفردت بين الانام
وسمت على أقرانها * بالمجد في أعلى مقام
هي زينة العصر التي * في مصر مصباح الظلام
من ياتجى بجنابها * يخطى على نيل المرام
هذي ولاية أمرنا * وقرينة المولى الهمام

الشهم ابراهيم من * خضعت له أسد الأجام
 الاوحد الفرد الذي * قد كان للدنيا امام
 قد كان أفضل سيد * وأبر من صلي وصام
 ملك مهيب قادر * بطي عنيد لا يرام
 فتح المدائن عنوة * بالحرب في حد الحسام
 وأذل فرسان المعالي * مع في مبادي النصارى
 واقعد أقرب فضله * وببطشه الدول العظام
 يقضي الزمان وذكره * يبقى على طول الدوام
 ان كان عنا قد نأى * ومضى الى دار السلام
 فاليوم أنت مكانه * في مصر يا بنت الكرام
 خرت المعارف والندى * والفضل من قبل القطام
 مقام مثلك في الوري * بين النساء من ألف عام
 في الحلم والكرم الذي * يري بامطار الغمام
 واللاطف والحسن الذي * يزهو على البدر التمام
 لازلت في عز وفي * جاهر فيع واحترام
 ملاح في أوج العلي * نجم ومانح الحمام
 وقلت أيضا ما دعا يا هاجمه القصيدة * ومعرضا بذكر أوصاف
 بعلمها الجليلة الحميدة
 تسامى فخرها بنت الكرام * فحازت بالسلامة على مقام

كريمة عشر من خير قوم * لهم شرف وعز في الانام
 وقد فاقت نساء الارض طرا * بحسن الخلق والرأى التمام
 فلا عجب اذا افتخرت وباهت * جميع الناس من خاص وعام
 أليس لبعدها خضعت وذلت * أسود الحرب في يوم العدام
 هو ابراهيم من ناز المعالي * ونال المجد في حد الحسام
 همام كان في الدنيا فريدا * وركا في المهتمات العظام
 ولا زالت وقائمه المواضي * مخلدة على طول الدوام
 وقائع لورآها الطفل يوما * لشاب لها قبل القطام
 ان يلك قاب ذاك البدر عنا * فأنت اليوم مصباح الظلام
 وأنت اليوم يا خشكار كف * وملحاً للضعيف المستضام
 فلا زالت سعادتك في ازدياد * وقدرك بين أهل المجد سام
 ومهما مدحت وأثنت عليها * فهي قليلة بالنسبة اليها * لان
 فضائها قد شاع وظهر * وامتد وانتشر * بين البشر * كظهور القمر
 الذي لا ينكره الا فاقد البصر * وهي مع علو شانها * ورفعة قدرها
 ومكانها * متصفعة باللفظ والانس * ومكارم الاخلاق ووداعة
 النفس * محبوبة من جميع الرعية * مطبوعة على الخير وخس
 الطوبى * فمن مشروعاتها الخير * التي شيدتم في الديار المصرية
 عدة أمان لا جل الاحسان * وجامع كبير في غاية الحسن والاتقان

وغير ذلك من المشروعات الحسان * غيرة منها لا عانة المحتاجين *
 وشفقة لا عانة الفقراء والمساكين * وجميعها تحت إدارة وكيدل
 دواتها ورئس سراية حضرتها * سعادة الهمام الا كرم *
 والبيت العشم * مصدر الحكيم * وبحر النكرم * ابراهيم بك
 أدهم * الذي استولى هذا المقام * بعد انتقال خليل اغا الى رحمة
 رب الانام * ولا يخفى ان سعادة البيت المشار اليه * خلد الله سوابغ
 النعم عليه * من أعيان أهل الأدب * متهفرد في المعارف و لغة
 العرب * فصيح اللسان * قوى الجنان * محمود السيرة * صافي
 السريرة * وكنت قد تشرفت بمقابلة جنابه * وشرفت مسامحي
 بلائي درر خطابه * برقة جناب الصديق الصادق * والبدر
 المنير الشارق * أعني به الشاب الظريف * والاديب التجيب
 اللطيف * صاحب الرسائل والتصانيف * الذي اعتنى بشكل
 ولجميع البخاري الشريف * وأعانتني على وضع هذا التأليف *
 سني الهمم * حميد الماثر والشيم * عزت لوجه دافندي مكاوي
 المحترم * فانه من أعز أصحابه * وأجل خلانه وأحبابه * فوجدته
 أنيساً أديباً * فصيحاً لبيباً * وفي العلوم بحراً عذيباً * تروق بطلعته
 الابصار والنواظر * وتتمش بعدو به الفاطمة النفوس
 والخواطر * ومن أعجب العجب * انه لا يصداً أحد عن طلب *
 لاسيما من كان من أهل الادب * فانه يذل غاية جهده واستطاعته *

في قضاء حاجته * فرجعت شاكرًا من الطافة وافضاله * متعجبا
من كثرة أدبه وقصا حقه * فسبحان من أوجده مفردا بين
أقرانه وأمثاله

شعر

ومن يك مثل إبراهيم شهرا * تليق له المدائح والتهاني
همام قد تفسر في البرايا * بالطاف تفوق عن البيان
جميل الخلق ذو فكر مصيب * بكشف الغامضات من المعاني
وقد جالسته فوجدت فيه * ما ليس يحصرها الساني
وقلت أندحه واهنته بعيدا لظفر * حفظه الله بالعز والفخر
على مدى الدهر

بمدح جناب إبراهيم أدهم * زها شعري وقدرى قد تعظم
هو البدر المنير بارض مصر * وقهرا العدى الليث الغشمشم
إذا افتخرت كرام الخلق يوما * فكان عليهم الرأس المقدم
فلم يترك لعن اليوم ذكرا * ولا ربيعة ابن المصمك
إذا صدمت عزيمته ثيرا * لئال وان اقى جيشا فيهم
فسل عنه القلوم وكل حبر * غدا في علمه البحر العرم
وسل عنه الفوارس كيف ذلت * لديه وسيل أعاديه فتعلم
إذا طفت البلاد فلا تلاقى * بالطف منه أنسا ناوأ كرم
تباغت مصر فيه واستنارت * معالمها وفيها الانس خيم
ألا يا من غدا الناس ذخرا * ومصبيا إذا ما الليل أظلم

اليك قصيدة غراء وافقت * تمنى جنابك العالى المعظم
 بعيد الفطر يا بدير المعالى * تمنى فيه بالافراح واسلم
 ومما قلته فى جناب محمد افندى المذكور * ادامه الله بالعز والسرور
 على مدى الاعصار والدهور *

لله منة فى نسبة البلدان * حرم الامان وكعبة الرحمن
 بلذرفت فى حسن اوجالها * وبها كرام الناس من عدنان
 اهل المفاخر والقضاة والتقى * واللاطف والمعروف والاحسان
 تاهل بها محمد العلم الذى * شاعت محامده بكل مكان
 الا وحده الفرد الذى باهى الورى * بفعاله وسما على الاقران
 هذا الذى خضعت له اسد الشرى * وفوارس الهيجاء فى الميدان
 قر باقى المحبدين بسطع نوره * فى قطر مصر وساثر الاكوان
 بحر العلوم وصاحب الحكيم التى * لم تزوها بالحكاء عن ايمان
 الفاظه تسبي العقول واطفه * يشفى العليل وكربة اللهقان
 نسخت فصاحته فصاحته من مضى * فى الناس من قس ومن سحبان
 يكفيه تصحيح البخارى مفخرا * مع شكاه بالضبط والاتقان
 لورمت استوفى مديح جنابه * بتسامه لصرفت فيه زمانى
 لازال فى جاه وعز يادخ * طول الدوام على مدى الزمان
 وقلت ايضا اهنئه بعيد النحر * وقاه الله بنوائب الدهر
 فلت المحامد يا محمد والثناء * وبلغت من دنياك غايات المنى

والعبد زارل بالمسرة والهنا * قهن وانحر كل أولاد الرنا

(الباب السادس عشر)

في ولاية حضرة عباس باشا وهو الخديو الثالث * وذكر
ما جرى في أيامه من الوقائع والحوادث

هو ابن طوسون باشا بن محمد علي * صاحب البطش الشديد
والقدر العلي * الذي حسنت مساعيه * وأشرقت شمس معاليه *
وطابت أيامه ولياليه * فكان كما قيل فيه

راق الزمان وأسفرت أوقاته * عن طيب أيام وصفو ليال
والدهر وافي بالمسرة والهنا * وغدا يشرنا بأحسن حال
والكون قد سطعت أشعة نوره * مذلاح هذا الكوكب المتلالي

سعدت به الدنيا وقالت ابشروا * بالفيض من احسانه المتوالي
أكرم به من دولة عباسها * قد جاءنا بالفضل والافضال
تولى أحكام الديار المصرية * بعد انتقال حضرة ابراهيم باشا الى
رحمة رب البريه * سنة ١٢٦٥ هجرية * المرافقة سنة ١٨٤٨

مسجديه * وكان قوى الجنان * فصيح اللسان * موصوفا بالعدل
والاخسان * عظيم المهابة * وافر العقل والاصابة عدل في الرعية
وسلك الطريق المرضيه * وكان يحب الابطال * وصناديد الرجال
مغرمنا بالخيال الا صائل * والا فراس الكجائل * وكان قد حضر

أكثر الوقائع في بلاد الشام * مع جناب عمه ابراهيم باشا فارس العظام
وقاتل فيها جمعة وعزيمة واكتسب شهرة عظيمة وفي أيامه
جعل جمع العساكر بالأساولة * بدون أدنى محاباة بين رعاياه * كل
فتى بمناوأة سنة وعمره * حسب وقوع القرعة بالقره * ساوى في
ذلك بين المملوك والمالك * وقطع دابر المفسدين وقطاع الطرق *
الذين كانوا يخرقون في نواحي الشرق قبة وتلك الجهات * وأصبح
الناس في أمان * ثبتت المديان * من شر أهمل البغي والعدوان *
وكان الله بجهانه وتعماته * قدر رزقه ولدا كالبدر حسنا وجمالا * فالى
الله * كثير الحكمه * قد تغرد بفقون الادب * وشاع فضله في
العجم والعرب * وهو جناب الامير ابراهيم الهامى * صاحب
الخلق الجميل والمقام السامى * الذى فاق على أقرانه * بجماله
وفصاحة لسانه * وفيه يقول بعض شعراء زمانه

غام ألقى بسرات وانعام * مبشرا بضياء الملك الهامى
مبشرا لوزير رضاء كوكبه * بطالع السعدية هو نجمه السامى
خلاصة المحذور والملك رونقه * شمير المعارف أفق السود النامى
له الهناء بعام كاه فرح * ذى مبسم بوجوه الانس بيسام
وكان قد زار الاستماتة العلية * سنة ١٢٧٠ هجرية
واجتمع بالحضرة الشاهانية * فاشرح منه السلطان عبد المجيد
خان * فزوجه بابتنة * وعمره بجزيل نعمته * ومن ذلك قول

بعضهم في حضرة
 الهام باشا أدام الله دولته * فريد عصر رفيع القدر والشان
 كم مثل غامر عن عاقل فطن * أبداه الهام الهامى باعلان
 بشراه نجل العزيز العدر أرخه * بالسيف ملكا مشير اصهر سلطان
 ثم رجع الى مصر * بالعز والجاء والغفر * وهو المدقر نشة
 حضرة ولي النعم * مولانا توفيق باشا الخديو المعظم * أدام
 الله لهما مزيد العز والنعم * وقبل الفراغ من هذه الترجمة * يجب
 علينا ان نذكر حضرة السيدة الموقرة المعظمة * وهي الاميرة
 الشهيرة * ذات المكارم والمواهب الكريمة * غرة جبهة الزمان
 والمحمودة بكل شفقة ولسان * والدة الهامى باشا ساكن الجنان
 التي فاقت على أترابها * بفضائلها وآدابها * وبذلها ونوالها
 وصلاحها وكمالها * وكنت قد سمعت باوصافها الحميدة * فقدمت
 لها نسخة من هذا الكتاب مع هذه القصيدة * عن يد فخر
 الذوات وأكابر السادات * وكيل دوائها * ورئيس دائرتها *
 سعادة أحمد مظهر باشا * بلغه الله من الخيرات ماشا
 ألا يا من حوت حسن الصفات * وشاع صلاحها في السكائنات
 ومن أضحكت بمصر اليوم ملحا * وبدر في الليالي المظلمات
 ومن خضع الزمان لها وذلت * لهيبتها الاسود الضاربات
 اليك قصدت عن ثقة لا هدى * كتابا من نفيس مؤلفاتي

يدفع الحسن لم ينشبه غيره * من الادبا و سادات الرواة
 وقد زينت به و جمعت فيه * ما أثر كالتحوم الساطعات
 ما أثر من تولى تحت مصر * من العظما و أفرا دالولة
 صرفت بحمها ز من أطويلا * وكانت قبل ذلك في شتات
 فارحوات يصادف به قبول * و يحظى اليوم منك بالتفات
 فن لسواله تصدق البرايا * و أنت بمصر بحر المكرمان
 ملاذ الوافدين من اليتامى * و كثر القاصدين من العقاة
 تفر بفضلك الشعرا و تثنى * عليك الناس من كل الجهات
 فحاشا ان يخيب لديك راج * و يشكو من صرف الثابتات
 فلا زلات لاهل الفضل كهفا * على طول الزمان مدى الحياة
 و أمرك نافذ بين الرعايا * و مجدك فوق هام النيران
 فصادف عندها القبول و الاقبال * و غمرتني بجزيل الانعام
 و الافضال * حفظها الله تعالى و أبقاها * و من حوادث الدنيا
 وقاها * هذا و اني في غاية المصنونية * لصاحب الفتوة و الحمية
 و المهمة العلية * محافظ سراية دولتها * و رئيس أغوات سرايتها
 جناب الاديب الماجد * المتخلي بحال الكمال و المحامد * فيروز أغا
 المحترم * حفظه و صانه ياربي النسم * فانه من أجل أدباء العصر * وله
 يليق المدح و الشكر * و أشعر حضرة عباس باشا بالولاية بخو خسة
 أعوام * ممدوحا من الخاص و العام * الى أن أدركه الاجل

فانتقل الى رحمة الله تعالى عز وجل * وتولى بعده الامام الفريد
صاحب الصيت الحميد * والرأي السديد * الذي خضعت له ليوث
البيد * وذلت لديه القوسان الصناديد * بجناب عمه محمد سعيد

﴿الباب السابع عشر﴾

ذكر ولاية حضرة محمد سعيد باشا الخديو الرابع

وما أجراه في الديار المصرية

من الإصلاحات ذات القوائد والمنافع

هو الكوكب الباهر * وبحر الكرم الزاخر * وفخر الاوائل
والاواخر * الوارث رتب المحمد كبراعن كبر * والناهض برفيع
نسبه لاعلى ذرى النجوم الزواهر * وفيه يقول الشاعر

نبأهت مصر وابتهج الصعيد * بدولة من هو الملك السعيد

وما ج النيل من طرب ولكن * به حسده عما يجود

هما في مصر رحمة كل أرض * بها يخضر في الارياض عود

عز يزقد تسلسل من عزيز * فكان لاصله المحمد الوطيد

فجدده مدحه اذ كل يوم * يجدد مدحه سيب جديد

علمنا أنه سلطان مصر * وكل رجال مصر له غيب

وزعم انه ركن عظيم * لملك المسلمين غدا يشيد

لقد سعدت به مصر ونالت * بدولته السعيدة ما تريد

لكل الناس عيد كل عام * وفيها كل يوم منه عيد
 تسلم زمام أحكام الديار المصرية * سنة ألف ومائتين وسبعين
 هجرية * فرفق بالرعايا * وعدل في القضايا * وجرد المهمة
 السامية * والعزيمة الماشية * في نجاح العباد * وتزيين البلاد
 واقتنى في هذا الاصلاح والنظام * آثار آياته السكرام * حتى
 صارت بهمة المنيفة * وحسن مساعي حضرة الشريفه مستنيرة
 الآفاق * دائمة الاشراف * وكان جوادا كريما * عاقلا حازما حلما *
 وفي أفعاله مدبر احكاميا ذا حزم وفراسه * ومعرفة باحوال
 السياسة * وفضلا عن بصيرته في الامور السياسية * له بصيرة عظيمة
 في علم العربية * واللغات الاجنبية * وهو الذي يذوق طريق
 المنشيه وجهها من المنتزهات الهيبه * وأنشأ التلفزيون والطريق
 الحديد * من مصر الى الاسكندرية * وفي أيامه تحسنت الاحوال
 * وكثر الغنى وازدادت الاموال * ومن مزاياه الحسان * تنظيم
 لائحة الاطيان الجارى عملها حتى الآن * قد أودع فيها جملة روابط
 وينود * حصصا للنزاع فحاشا طبق المصود * وهو الذي من الخفارة
 في البلاد * لحفظ الاموال وسلامة العباد * ورتب للخبراء على
 الناس جامكية * بموجب لائحة من طرف الحكومة السنية * وبهذه
 الوسيلة حصل الامن والامان * والراحة والاطمئنان * في
 كل جهة ومكان * حتى صار المسافر يحول بسلامه وحشمه

* لا يخاف الا الله والذنب على غنمه * وفن مساعي حضرته *
 وعنايات دولته * التي تستحق ان تكتب * بماء الفضة على
 سفائح الذهب * المشروع الجسم * والقصد العظيم * وهو وصل
 البحر المالح ببحر القلزم * الذي كان شرع فيه الملك نبحو من
 القراعنة والملك دارا من العجم * قبل وقد كان سدي تلك الاحقاب
 * لسبب من الاسباب * ولما تملك القرونساو به * الديار المصرية
 سنة ١٧٩٨ مسجبة * نذاكروا في هذه القضية * ذات المقاصد
 الخيرة * فلم يتم لهم ذلك المراد * لعدم مكنتهم في البلاد * واذ كان
 هذا الامر من اعظم الامور اهمية * واعمها في المنافع والفوائد
 التجارية * استدعى حضرته هذا المشروع الحميد شركة القرونساو به
 وصار ارسال صاحب الفتوة والحمية * والوصاف السنية *
 المهندس الشهير * والحاذاق الفطن الخبير * موسيودوليسيس
 لينظر الاعمال * على احسن حال * وانتم منوال * وبالجملة فان
 جميع اعماله محمود * وما آثره ظاهرة مشهودة * لا ينكرها انسان
 * ولا يقوم بحق شكرها انسان * ولا تحتاج الى دليل ولا برهان *
 وكان مع هذه الوصاف الحميدة * والمناقب الجليلة الفريدة * في
 غاية الرقة واللاطف * جامع بين الباس والظرف * محمودا محمودا
 جميل الخلق مسعودا * سالكا سيرة الخلقاء الفاضلين * والملوك
 الراشدين العادلين * متمسكا بتقوى الله رب العالمين * يحب

العلماء والشعراء * ويكرم الادباء والفضلاء * ويمدحهم بهباته
 الوافره * وصلاته الجزيلة المتسكاثرة * وكان قد شرف
 بروث المحميه * سنة ألف وثمانمائة وتسع وخمسين مسيحية
 * فكان لخلوله فيها يوم عظيم الشأن * لم يسمع مثله من قديم
 الزمان * ومما يستحق العجب * انه كان حيثما ذهب * ينثر في
 طريقه الذهب * فكانت الناس تزدحم عليه * وتلتقط من حواليه
 * وتعجب من عطائه * وفرط جوده وسخائه * وتدعوه
 بطول العمر * وتطنب في الثناء والشكر * وقد وصف فقال *
 من شاهد تلك الحال

يسير والذهب المنثور يتبعه * مثل السماء ترش الارض بالبرد
 فظنت الناس ان السحب قد فكت * بقدره الله دار الضرب في الجلد
 وكان قد نزل خارج البلد * في بيت الخواجات يستترس وهم من
 الخجار العمد * ولما تناول الطعام * واستقر به المقام * اقبلت عليه
 الشعراء * وامتدحوه بالقصائد الغراء * لمن ذلك قول الشيخ
 ناصيف اليازجي

قد أشرق النور في اكناف لبنان * اذ حل فيها العزيز الباذخ الشأن
 هو السعيد الذي الطائفه اشتهرت * كالصبح مستغنيا عن كل برهان
 مهذب فاق في خلاق وفي خلق * كانه ملك في جسم انسان

له يابق بساط الزيج في سفر * لانه ليس أدنى من سليمان
بيت كل وزير تحت رايته * طوعا وبعوا اليه كل سلطان
وحينما حل حامت دوله زمر * كالماء حام عليه كل عطشان
لو تقدر الارض لما زارها فرشت * قد امه الطرق من در و مرجان

وقال خليل أفندي الخوري

بشري لنا هذا النهار سعيد * وافي به يحيي النفوس سعيد
مولي له المجد الرفيع مشيد * فوق العلى والعالمون شهود
ومنها

شرفت بلاد تنافتها عز * وشراع عزك فوقها مدود
وغدا حمانا زاهرا وافخره * في كل حي بالديار حسود
قد كاد يرقص بالسرور وانما * هاب المعالي فاعتراه جمود
وقال أبو حسن أفندي الكسبي

جاوزت بالصدد ادونه العجب * على المشوق ولم يعلم له سبب
ومنها

كيف الخلاص ونار الوجد قد لعبت * بمهيتي وتوالي نحوها النصب
وليس لي حيلة أرجو النجاة بها * الا مدائح من سادت به الرقب
عزيز مصر سعيد الوقت ذو شرف * الى علاه تناهى المجد والحب
انا لشهد منه كل مكرمة * لها المحامد دون الناس تنسب

عن وصفه وشمس اياه وأذعمه * تقاصر الدبر والازهار والسحب
ماثر العز في علياه مشرقة * كالشمس لكن سناها ليس محتجب
وقلت انا العبد الفقير * في مدح جنابه الخطير

هل غير بابك في البرية يقصد * أم مثل فضلك في الخلائق يوجد
أنت السعيد عزيز مصر وربها * ومليكها الفرد المريد الأوحد
أنت الهمام الماحد المولى الذي * كل المبرايين جنابك تحمد
فقت الامثال رقة ووداعة * وكرامة لك بالقضائل تشهد
ان قلت قيسا كنت أذكي فطنة * أو قلت حاتم أنت منه أجود
ولقد حويت لطائفها وحامدا * يفنى الزمان وذكرها لا يتعد
ومنها

شرقنا فستزيت اقطارنا * وزهت معالمها وطاب المورد
وتنورت بيروت حتى أصبحت * من نور مجدك كوكبا يتوقد
فشمسهم بالاحسان والاكرام * وأصيل عليهم ذيل الازعام *
وأقام في بيروت ثلاثة أيام * في سرور واتيسا طام * ثم رجع الى
مصر بسلام * وبعد رجوعه بيلة قليلة * أفاض المواهب
والانعامات الجزيلة * على اصحاب المنازل والبيوت * الذين شرف
دورهم في بيروت * وكانوا قد قصدوه * ونالوا منه ما أرادوه *
فصربت بحجوده الامثال * وتعلقت به القلوب والآمال * وما زال في
أرغد حال * وأنعم بال * الى ان انتقل الى رحمت رب العالمين * منه

ألف ومائتين وتسع وسبعين * وكانت مدة حكمه تقريبا تسع سنين
وبقي ذكره مخلدا على صفحات الأيام * مدى الدهور والاعوام
ورثاه بعضهم من ذين البيتين

ذهب السعيد عزيز مصر طالبا * عرش السماء فساد في الحماين
في تربة كتب المؤرخ فوقها * نال السعيد سعادة الدارين
وكان قد رزقه الله ولدا * ما ربت الداريات مثله أبدا * لطيف
الذات * حلو الصفات * متصفا بالفضل والكمال * والحسن
والجمال * عفيفا أديبا * شجاعا مهيبا * فصحا لييبا * وهو
جناب الامير طوسون * الذي قهر بالمعارف والفنون * واشتهر
بالجود والكرم * وعلاوا همم * كاستهارة العلم * وكنت عند زيارتي
الديار المصرية * سنة ١٢٩١ هجرية * قد سمعت بذلك حضرته
وما أثر دولته * وما خصه الله به من الالطاف * ومحاسن الاوصاف *
فتشوقت نفسي الى لقاءه * وتشرفت بطلعه قرؤياه * وقد كنت له نسخة
من كتاب طبقات الشعراء مع هذه القصيدة في مدح مناقبه
الغراء * معرضا بما يذكر والله المرحوم المعظم * الذي برز من
عربيه هذا البيت الغشيم

يم حمى كعبة الآمال والدين * والهجج بمدح وزير المجد طوسون
هو الوزير الذي شاعت لطائفه

من مغرب الارض حتى الهند والصين

رب المفاخر محمود المآثر قهار الجبابرة في وسط الميادين
 أقامه الله ركناً مستعين به * على الحوادث في أمن وتأمين
 تناول المجد ارتاعن أيه سعيد الذكر من كان ركن المجد والدين
 ذا الخلد والذى عمت مواهبه * كل الخلائق من خاص ومن دون
 ذا الذى كانت الآساد ترهبه * وتختشى بأسمه شيم العرانيين
 تجمعت فيه كل المكرمات وقد * ترينت فيه مصرأى تزيين
 يقضى الزمان ويبقى ذكر دولته * مخلص الاسم من حين إلى حين
 ان كان قد غاب عنا نوره ومضى * فقد أثار علينا نور طوسون
 هذا وزير العلى المرفوع مشعبه * جاهل وديوانه صدر الدواوين
 هذا الذى أجمعت فى فضل حضرته * وفيض راحته كل السلاطين
 هذا الذى دأبه للناس منفعة * وجبر قلب اليتامى والمساكين
 يامقرد العصر فى لطف وفى أدب * وزينة الدهر فى حسن وتحيين
 لازات للمجد ركن غير منهدم * مؤيد العزم فى عزوته ~~ممكن~~
 فلما أجمع النظر فيها * وتأمل فى عذوبة ألقاها ورقة معانيها *
 وقعت عنده فى حيز القبول وأنعم على * بأحسن مأمول فشكرت
 احسانه وفضله * وتحققت جوده وبذله * وعلمت انه من افراد
 الرجال * الذين خصهم الله بالفضل والكمال وبذل المال * غير ان
 الزمان * الذى ليس له عهد ولا أمان * ولا براعى مقام أهل الجود

والاحسان * قد فجعنا بحضرة الآن * ورعى القلوب من بعده
باسهم الاخران * على طول السنين والازمان * وكان لما بلغني هذا
الخبر * شملني الغم والكدر * وتأثرت كل التأثير * فظنرا الجميلة
وفضلها الشهير * فثبته بقصيدة من أجود الشعر الحسن * وأنا
يومئذ في الوطن * منها هذه الايات * المستحقة بذكره التسطير
والاثبات

زال الهنا والصفاء من بعد طوسون * فأي قلب عليه غير محزون
قد كان بدرا منيرا ساطعا لمضى * فيا لبدر بطي الارض مدفون
وكان عونا لنا في كل نائبة * ورحمة للمتألمي والمساكين
تعمده الله برحمته ورضوانه * وأسكنه في أعلى غرف جنانه * وعزى
قلوب أهله وخلانه * لاسمها حضرة زوجته الكريمة والاميرة
الرحمة العظيمة * السيدة فاطمة الفخيمة * ذات المآثر الباهرة
والمواهب الجزيلة المتكاثرة * المتفرعة من الدوحة الزكية الطاهرة
التي قد شاع في الآفاق ذكرها * وارتفع فوق السماكين فخرها *
ساحبة المجد والاقبال ومعدن اللطف والكمال * من يقول فيها
لسان الحال

أميرة من ندى كفيها ما طهرة * محائب الجود والافعال والنعم
تخصي الرمال ولا تحصى آثارها * وعزها فوق هام المجد لم يرم
تفردت في الوري بالامكر مات وفي * حسن الصفات فاضحت زينة الاعم

فانها كثيرة المواهب والصدقات * ومن أفاضل السيدات المعظّمات
 فضائلها لا يحصر ولا يحصى * وجودها لا يحصى ولا يعد * حفظها الله
 تعالى وجازاها خيرا * ولا أراها مكرها ولا ضيرا * ولا زالت
 كواكب سعودها زاهرة * وسجائب الجود من ندى كفيها ما طهره *
 ما شمع القمر * وهب نسم السحر وأتأسأل الإله الرحمن * أن يديم
 لنا وجود حضرة الاميرة العظيمة الشأن * عمدة السيدات
 المحترّيات * وكعبة المكارم والحسنات * اللطيفة المذاق * المحمودّة
 الصفات * التي شاعت فضائلها في الكائنات * وفاقت بالمواهب
 والمكرّمات على كل من مضى وفات * نروجة المرحوم المبرور * حضرة
 سعيد باشا المذكور * أعني بها بدر الدين * وحصن اللجأ * من أصبح
 الدهر بوجودها مبتهجا * وحماها كنهها ولجأ أهل الرجا * السيدة
 أنحبا * فانها جامعة الصفات الجميلة * والمآثر الحميدة الجليلة *
 فكمل لها في الديار المصرية * من المشروعات الخيرية * والآثار الباهرة
 السنية * الصادرة عن حسن الطوية * تكرم الأدياء كما هو مشهور
 ومعلوم * وتنفق الأموال الجزيلة لنشر المعارف والعلوم * وكنت قد
 قدمت بكتابها المعظم * نسخة من هذا التأليف بخط القلم * مع هذه
 القصيدة * عن يد وكيل دولتها صاحب الأوصاف الحميدة * الأمير
 المكرم * والهامام المقدم * سعادة عثمان باشا الأنعم * فاستحسنتهما
 كل الاستحسان * وغمرتنى بحزبيل الأنعام والاحسان

سل القضاة نيل يوما عن فرائد أياها * واستخير البدر عن أوصاف معناها
 وسل جميع الوري ان كنت جاهلا
 تنبئك عن قدرها العالى وتقرأها
 هدى التى باتتقى والحلم ليس لها

فى الكون بين ذساء الارض أشباهها
 فاقت على حاتم بالحد واشتهرت * بين الملوك عطاياها وزعماءها
 فيها من اللطف أخلاق مهيبة * هبات فى غيرها بأصاح تلقاها
 لورمت أحصى سجاياها وأحصرها * لما قدرت على ادراك احصاها
 وهى اولانى انجاس من بجانها * فى خرمها ومعانيها وجدواها
 أميرة لم تدع فى المجد ~~مكرمة~~ * الاحـوتها وباهت كل من باها
 تقية ذرة ذات مطهرة * من معدن اللطف رب العرش سواها
 مهيبة فى عيون الناس قاطبة * فالاسد تدمها والدمر يخشاها
 تهوى البدر راها طوعا وتخدمها * مدى الدهور وعين الله ترعاها
 لو شاهدت عزها بلقيس ما افتخرت * ولا زيبدة يوما عند رؤياها
 باهت بها مصر وابيضت بطلعتها * سود الياالى وهم الخصب يداها
 يا بنت خير كرام الناس من شهدت * بفضلها الخلق أقصاها وأدناها
 البك سقرا لقد أودعته شرقا * فى ذكر بعثك من فاق الورى جاها
 أغنى السعيد الذى الدنيا به انتهجت
 من كان فى مصر واليهام ومولاها

أودعت فيه من الاشعار أجودها * ومن ما ثراهل الفضل أسناها
 يرجوا القبول إليك اليوم سيدتي * إذ أنت أخرى الملا فيه وأولاها
 من رام عزاء مجداسا ميا وغنى * من غير فضلك بأناخا قدناها
 لازلت كهفا لاهل الفضل قاطبة * وكعبة لبني الآمال تغشاها
 هذا وانني أرى نفسي مهما مدحت * ووصفت في حضرتها وشرحت
 لا أقدر أن أقوم بالقرض الواجب * ولا أستوفي بغض مال دولتها من
 الماء ثرو المناقب * فلا برحل الأيام مشرقة بكوكب سعدتها والمياالي
 منيرة بيهاء مجدها * على طول الدوام * ماناح الحمام * ولاح البدر
 التمام

* (الباب الثامن عشر) *

ذكر ولاية حضرة اسماعيل باشا العظيم الشأن * نجل
 المرحوم المبرور إبراهيم باشا ساجد كن الجنان
 هو بدر الاكوان * وكعبة المجد والاحسان * والجوهرة الثمينة
 في هذا الاوان * مرغم أنوف الجبابرة * معفر جباه الاسود السكاره
 الذي انتهت بآيامه دولة العرب * وعلاقدر الفضل والادب *
 حضرة سيدى وهولاي اسماعيل باشا المشار اليه * من جمل الله
 مقاليد الكمال والسيادة طوع عيديه * جلس على سحر القاهرة وبلغ
 المقصد والارب * وارتقى في المعالي الى أعلى الرتب * في اليوم الثامن

والعشرين من رجب * سنة ألف ومائتين وتسع وسبعين هجرية *
 الموافقة لسنة ألف وثمانمائة واثنين وستين مسيحية * فتباشرت
 الناس بولايته * وقدمت الشعراء المدايح والتهاني لسيادته * ولله
 دراقائل في حضرته

يا مصر قاهرة الدنيا بسطوتها * قد جدد الله من أيامك الأول
 دار الخلافة عادت فيك قائمة * كما اقتضت حكمة الرحمن في الأزل
 قد كان في مصر نبيل واحد قدما * فزادها الله نبلا مطفي الغلال
 قام المظفر اسماعيل منتصبا * في عرشها كقيام الشمس في الحمل
 لاحت طوالعه فيها فقلت لها * يا أسعد الأرض هذي أسعد الدول
 هذا العزيز ابن إبراهيم نسيته * تصاغ من أولياء الله والرسول
 فيها الخليل واسماعيل قبلهما * محمد جاء مضمونا إليه على
 هذا ابن من صيته قد طار منتشرا

في الشرق والغرب مثل السبعة الطول

لو كان في أرضنا طرق إلى زحل * كان انتهى صيته منها إلى زحل
 واليوم قد قام اسماعيل بخلافه * في الحزم والعزم بين القول والعمل
 كانت شمائله كالزهر نافحة * فأنحت من جناها صفوة العسل
 فسلك السيرة المرضية * وجر دالهمة العلية * في ترين الاقطار
 المصر به * بالابنية الجميلة * والمشروعات الخيرة * فما شرب به

وأنشأ حفظه الله وأبقاه * ورفع مجده وسنانه * إقامة المنارات في
 البحر الأحمر * لوقاية السفن من الخطر والضرر * وإصلاح الطرق
 والترع * وتحصين الأبراج والقلع * وإدخال مجارى المياه لمصر
 وإصلاح التلغراف للسودان وجهات القطر * وإعادة دار الطباعة
 بمولاي * لانتشار الآداب في الآفاق * وتنظيم المجالس * وبقيان
 المدارس * ورفع السخرة عن الفلاحين * وتأسيس معامل الورق
 والكرخين * ولا سيما طريق السودان الحديدية * التي هي من
 أعظم المشروعات الخيرية * لتسهيل سبل التجارة وانتشار المعارف
 بين تلك الشعوب والطوائف * الذين استباحوا المعاصي واستحلوا
 المنكرات * وصرفوا زمانهم بالحروب والغارات * وهو الذي بنى
 مدينة الاسماعيلية * وزخرف حديقة الاز بكية * ذات المحاسن
 والمناظر الهمية * جلب اليها من كل أنواع الاشجار * وأجرى
 في خلاها الجداول والأنهار * وزينها بنغمات الموسيقى وأنواع
 الألحان * حتى صارت كفر دوس الجنان * بأنبياء المتفرجون من
 أبعد مكان * وأباحها لكافة الناس * من جميع الأجناس * يحولون
 فيها في الليل والنهار * يسمعون الغناء ويتناقلون الأخبار * فهنيئاً
 لكم يا شبان مصر * وطوبى لكم يا طرفاء العصر * على هذه
 المنزهات والفرج * التي تزيل الغموم وتنشئ القلوب والمهيج
 ومن فضله المأثور * أحداث وابور النور * الذي سطعت أنواره

به الباهرة * في الاسكندرية ومصر القاهرة * فاسفر نورهما
 من الظلام واستنارا * وصار ليلهما نارا * وبذلك أمن التجار
 في حوانيتهم وأرباب الصنائع * من شر اللصوص في الاسواق
 والشوارع * ومن جملة مساعيه التي تستحق الذكر جيلا بعد جيل
 وما أظهره من مزيد الهمة في دفع اضرار النيل * الذي كان قد زاد
 فيضانها سنة الف ومائتين واحد وتسعين * دون باقي الاعوام
 والسنين * حتى كاد يبتلع السهول * ويطوف على القرى والحقول
 لولا عناية دولته * والتفات حضرته * لعم بلاه * وزاد شره وأذاه
 بأضرار المزروعات * وعطر المواسم في أكثر الجهات * فبادر جنابه
 بالعمل * وأرسل لهذا العمل * نحو مائتي الف نسمة * من القلة
 والخدمة * لصدهجعات مياه المتراكمة * ودفع عزم أمواجه
 المتلاطمة * بفتح الترع الوسيعة * وإقامة الحواجز المنيعه * وبعد
 بذل الجهد * ومقاساة التعب والسكد * ارتفع الضرر * بعد ذلك
 الخطر * وأصبحت البلاد في أمان * من هول ذلك الطوفان * وهذا
 العمل حلا أكثر الناس * ان يصنعوا لحضرته تمنا لامن النحاس
 ينصبوه في مدينة الاسكندرية * اظهار الحاسيات الشكر
 للممنونيه * وتذكرا لما بدأ من حضرته السنية * وهمته العلية *
 في السعي والاجتهاد * في كف الضرر عن البلاد * ومن مساعي
 حضرته الجيلة * وعنايات دولته الحميدة الجيلة * التي تستحق أن

تذكر * وصل بالبحر المالح ببحر الأحمر * الذي كان قد شرع فيه
على أتم كيفية * وأحسن حديثه * حضرة المرحوم المبرور * سعيد
باشا صاحب الفضل المشهور * واذ كانت الأحكام الربانية *
والتقادير الرحمانية * أمرا لا يدمنه * ولا سبيل عنه * وكان وقتئذ
قد حان القدر المقدور * انتقل إلى رحمة به الغفور * نعمة الله
بالرحمة والرضوان * وسقى ثرى ربه غيث النعم من أعلى غرف
الحنان * ثم لما اكتمل هذا المشروع وتم * في أيام حضرة اسماعيل
باشا ولي النعم * استدعى من أورو با جميع الملوك وعظماء الدول *
لمشاهدة نجاح هذا العمل * وأعد لهم في ذلك المقام * كل ما يلزم
من خريد الأكرام * ففهم بعضهم إلى هذه الواجبة اليه * وشكر
كل حسن مساعيه السنية * والذي لا يمكنه الحضور * أما العذر
وأما القصور * أرسل أحد نوابه * لمقابلته رفيع جنابه * فاستقبلهم
أحسن استقبال مستطاب * وحلوا عنده محل القبول والترحاب
وقد أتيته بحت نواظرهم * وأنشروا صدورهم ونحو أطرهم * بما
شاهدوه من حسن الترتيب والنظام * وما انطوى تحت ذيل
مشروعاته من خريد العناية والاهتمام * وكان قد أعد لهم وليمة من
أنفرا للولائم * ما سمع بجناتها قط بين الأغارب والأعاجم * تطيب بها
الخواطر والانفاس * وتسطع حوالها الوامع أنوار الجلاس * حتى
كانت بمجة للنواظر * وترهة للخواطر * لعمري أنه بحر السكر

فحاء طبق المرغوب * جالس متعه الله بالغزو والاقبال على كونه
 الخديوية المضرية * في اليوم السابع من شهر رجب سنة ست
 وتسعين ومائتين والالف هجرية * بعد انفصال حضرة والده عنها
 لاسباب لا أستطيع ذكر شيء منها * فكان ذلك خيرا والخيرة في
 الواقع * ولو اطلعت على الغيب لا خترتم الواقع * آتت الحضرة
 نص فرمان الوراثة الاخير * الذي يشي بانحصارها في الابن
 الكبير * من اولادولى الامر * واستمرارها كذلك مدى الدهر *
 لتخلق باخلاق الخلفاء العادلين * وأتقن قواعد الولاية بالحزم
 والرأى المتين * وقام اساس المبتدعين * وقطع دابر المخدعين * ونفى
 جبال الدين الاغصاني * ذلك المحدث الجاني * وفي أيامه تشيبت دعائم
 الدين وقويت عصاية الموحدين * وعمرت المعابد والمساجد * وكثر
 الراكع والساجد * اذ اناس على دين ملوكهم * يقتفون آثارهم
 في أعمالهم وسلوكهم * فأقسم بالله وآياته * ومشعر الحج وميقاته
 انه لم يقم في مصر ملك مثله * يحامي عن الدين ويعظم أهله *
 تمايل الناس بوداعة النفس * ويواظب على الصلوات الخمس * قد
 سبى الجمعة الاولى من جلوسه في جامع سيدنا الحسين * ابن بنت
 مصطفى امام الحرمين * ومن محاسنه العظيمة * ومكارم اخلاقه
 اعممه * التي تسحق الذكر * على مدى الدهر * تخفيف رسم
 التذاكر * المفروض على كل مسافر * من الوافدين الى هذه

الديار * من جميع النواحي والاقطار * بعدان كان يؤخذ من كل
انسان * سبعون غرشا بلا زيادة ولا نقصان * فانزاهها الى ثمن هذه
القيمة * وهذه رحمة عظيمة * ومنه جسيمه * وفي أيامه تعدلت
حياة الخراج * على أحسن اسلوب وأقوم منهاج * وتقسطت على
كل انسان * بحسب ما يملك من الاطيان وذلك بموجب حكم وقرار
يدوم على مدى الاعصار * فامسى الفلاح مطمئن البال * بعدان
كان يقاسى الاهوال * واشد المشقات الثقال * من حياة الاموال
لا التزامه اقراض النقود * من صيارفة الافرنج واليهود * تحت
ربا فاحش ومتاعب غير قليلة * حتى يتخلص من تلك الورطة الويلة
فخرى الله الخلد بخيرا * ولا أراه في أنجاله يوما ضيرا * وأحسن له
العاقبة في الحال والمآل * كما أراحنا من ثقل تحصيل الاموال
وهذه يا صاح * وسيلة النجاح * فانها من أهم الامور الكبار
لتحسين البلاد وتقدم العمار * ويكفيه من الفضائل تسوية
الديون السائرة * بعدان كانت اربابها مضطربة حائرة * وذلك
لعدم دخولها تحت قاعده * وتأخير دفعها من الحكومة بلا فائدة
فجمع أسعده الله نواب الدول * وعقد مجلسا لم يسبق في عهد الاول
حصرت به الديون المبرية * على طريقة عادلة مرضية * وتعدلت
ميزانية الصرف واليراد * بالحالة الممكنة بالسداد * ورتب
قانونا للعساكر الجهادية * حدد لهم فيه التعمينات الشهرية * و

يلزمهم من النققات والجامكية * وحصر غدهم برأيه السيد
 بحيث لا تقص ولا يزيد * ومما أجراه من العدل والانصاف
 ارجاع ما كان مأخوذاً من أموال الاوقاف * ومن بيت مال المسلمين
 ومن الایتام والمحتاجين * وصرف لكل ماله وما كسب * ورفع
 المظالم والكرب * وكان سبب الرجوع الثروة الى مصرنا * فزال
 الفقر وكثر الغنى * وبلغت الناس غاية النى * بعد التعب والعناء
 فله درهم من بطل همهم * وليت باسل ضرغام * على هذا الاعتناء
 والاهتمام * الذي لم يسبقه عليه أحد من الملوك والحكام * وكنت
 عند جلوسه على كرسي الولاية * امتد دحيته بقصيدة بلغت من
 الحسن النهايه * منها هذه الايات * وقام الله شر الثائبات
 • تغر المعالي قد بسم * والقطر شعشع وانتظم
 والعدل وافي مقبلا * والظلم ولي وانهمزم
 والخير أصبح دافعا * والناس أمست في نعم
 وديار مصر ترتفت * لما خديونا حكم
 توفيق باشا من غدا * نخر الخلائق والاهم
 ما قام وال منسلة * بين الاعارب والعجم
 خضعت الزمان لامره * وأطاعه فيما رسم
 بشرى لكم يا أمة الاسلام في هذا العلم

هذا الذي في حكمه * ترعى الذئاب مع الغنم
 ويحسن مشر وعاته * أحيا البلاد من العدم
 غوث الفقير المنصف الـ * من ظلموم عن قد ظلم
 لبث العدى غيث الندى * نور الهدى يبحر الكرم
 حاز الفضا ثل كلها * وجميع أسرار الحكم
 وسما بهمة على * أهل المعالي والعظم
 وهى قصيدة طويلة * ضمنها أوصاف حضرة الجميلة * وبالجملة
 فان فضائله لا تنكر * وأطرافه لا تعد ولا تحصى * فنسأل الله أن يديم
 أيامه وعده * وان يكثر في ولاية الامور مثله * فحدث يا صاحب
 عزايه واقتخر * وقل ان جناب خديو بنا الفضل مبتكر * يلتقى
 الوفود بالبشر والترحاب * ويحادثهم بالحكمة وفصل الخطاب
 واقد حظيت بالثول بين يديه عدة مرار * وشاهدت طلعتة المشعة
 بالانوار * وسمعت ألقاظ العذبة الشهية ومغانبه السامية
 السنية * فوجدت فيه من الحلم وكرم الاخلاق * ما لم يوجد في غيره
 على الاطلاق * وهو مع هذه الرتبة العلية * لا يقتر عن صوالح الرعية
 والاعتناء بالمشر وعات الخير * ونشر الشرائع والاحكام الدينية
 قد اتقن اللغة التركية والفرنساوية * وترقى في اللغة العربية
 وباقي الفنون الادبية * الى أعلى درجة سنية * يحب العلماء الفاضلين
 ويعتني آثار الصالحين ويتفق أمواله على الفقراء والمساكين

فهنيئاً لمصر به هذا العزيز * الذي رفع مقام الكتاب العزيز * وأتانا
 بعدل عمر بن عبد العزيز * وكلاً نعرف العدل الأفي التواريخ والسير
 وما هو بيننا اليوم قد ظهر وانتشر * ولقد اتسع بمنه ذطاق العلم
 والمعارف * وازدادت الارزاق وكثرت الوظائف * وظهرت الجرائد
 ناقله الاخبار * في أقطار الدار * واضاء الوطن بكوكبها واستنار
 وانتشرت وقائع الطائف في الاسكندرية والمحروسة * وكانت مصر
 من عهد الاهرام غير مأنوسة * وثبت تقدم عصرنا الجديد بالدايل
 والبرهان * وازدهت مصر تيهها على باقي الممالك والبلدان * ومن
 جملة مشروعاته تأسيس الجمعيات * لقيام المدارس وتوزيع الحسبات
 ودفن الفقراء ومعالجة المرضى في المستشفيات * تحت ادارة
 الكوكنين النيرين * والاسدين الضرعامين * حضر في تجليبه
 الاميرين العظيمين * وهما الامير عباس والامير محمد علي * صاحبا
 المجد والقدر العلي * أوامهما ولي العهد سمي جده * وثانيهما
 نعم الذكر يم مفتخر ابن جده * فالي عباس البطل الأغلب * المقاصد
 الخيرية تنسب * لانه همام أديب مهذب نائبه وزير في العلي سامي
 اسمه محمود وهو لقطرنا حامى * ناظر الجهادية والبحرية * ذوالهمة
 العلية * والفصاحة والقرحة الذكية * ولحمد علي بتوفيق آية
 الخيري جمعيه * أساسها مقبل بحسن التوجهات الخيرية * وقانونها
 جامع لفعل الخير والبر * موافقة من اعضاء ذوى فضل وقدر * والفقير

من أول مؤسسيها ولا تخفى * ولما صدر الأمر على قانونها بالقبول
 صنعت ليلة أذن حضرها الأدباء القبول * يقدمهم الأديب
 الفاضل * والخطيب الذي ليس له محائل * عبد الله أفندي نديم
 الخطابة * وتليذه نبيه تلوح عليه دلائل النجابه * وتعززوا بأديب
 من بني اسحق * الذي شاع ذكره في الآفاق * وكان ذلك بحضور
 من العلماء والذوات الأكار * والبعض من الباشاوات أرباب
 المناصب والمفاخر * فافتتح الخطبة نديم أفندي المذكور * وأبدى
 لنا من فصاحته ما حير عقول الجمهور * ثم أعقبه أديب * وأتى
 بالحب العجائب * من فصاحة الخطاب * والحديث المستطاب *
 حتى أنه هرت الأفكار والألباب * ثم عاد النديم ودعا التلميذ
 للخطابة * فلباه طوعا وبادرا بالاجابه * فوقف وأنواره ساطعه *
 وشنف مسامعنا بكلماته الجامعة * ولما تنصف الليل وذهب
 أكثر الحاضرين * وافى ليث العرب * وعمدة العلماء البارعين *
 صاحب الفضل المبين * والرأي الصائب المتين * جناب الفاضل
 محمد عبده وكنا القصدومه متشوقين ومنتظرين * فافتتح الكلام
 بخطبة أديبه * ضمنها من الوقائع المصرية * والالفاظ العذبة
 الشهية * ماشق العليل * واروى الغليل * وعاد الأولون للقول
 بالتكرار * حتى خلدنا أن الفجر استنار * ودعا الجميع لخديونا
 بالتوفيق والاقبال * مع أمراء العساكر وقواد الأبطال حتى

تجدينا هيمة أوروباني بلادنا * وإن القوم صاروا عبيدنا * كل
 ذلك بفضل خديونا المطاع * من اشتهر فضله وذاع * وذكر
 عدله للأهل والبقاع * ودليل ذات قدم الجمعيات والعلوم *
 ولا ينكر الحق إلا كل غاشم ظلم * فتسأل الهنارب الياس
 والخضر * أن يديم الملك في عقبه مدى الدهر

* (فصل) *

في ذكر أقاربه الاعاظم * اصحاب الفضائل والمكارم
 من أقاربه العظام * الذين زهت بوجودهم الليالي والايام *
 وشهدت بفضلهم سادات الانام * كل همام موصوف * ويذكرتم
 لا يعتري أشعة مجده خسوف * أولهم شقيق حضرة الخديو
 الامير محمود * قها رالاسود * ومعدن اللطف والجود * حفظه
 وصانه الاله المعبود * وبعده نجلا المرحوم أحمد باشا عمه الاكبر
 اللذان فضلهم ما بين الناس لا ينكر * وهما الاميران الشهيران
 والبدران المنيران * دولة ابراهيم باشا صاحب الجاه والفخر
 وأخوه أحمد باشا غرة جبين هذا العصر * أيد الله بالعرش ايامهما
 ونشر على هام النجد أعلامهما * ثم أنجال عمه المرحوم مصطفى باشا
 فاضل * الذي كان مصدر المكارم والفضائل * ويجز عن وصف
 ما أثره كل قائل * أكبرهم عثمان باشا ونعم عثمان * فاق بحسن

اخلاقه كل انسان * وتقر بالمناقب الحسان * على الاقران *
 ويليه في الفضل والادب * كامل باشا وهو جدير بهذا اللقب
 وبرايم ومحمد علي تمام الاربعه * أرجو لهم من المولى زيادة
 السعة * وأن يفيض عليهم من جريل انعامه الخيرات المتنوعة
 ومن الاقارب ذوى الارحام * اصحاب الفضل والاحترام * الخائزين
 كرم الاعراق دون الانام * أبناء الامير من الجليلين * والمشرين
 العظمين * أحمد باشا يكن وأخيه ابراهيم باشا قرّة العين * أولهم
 صاحب الدولة والاقبال * المتحلي بحلل الفضائل والكمال *
 النزال * ونغيث النوال * الذي لا تحصى مناقبه * ولا تستقصى
 مواهبه * بدر البدور * ومدير أمور الجمهور * المحمود المشكور
 من اسمه بالفضل يحيى وهو منصور * لازالت أيامه في زعيم وسرور
 على طول الأزمنة والدهور * ولقد قلت فيه * دامت مكارمه
 ومعاليه

هذا فريد العصر منصور الذي * باهت به أيامنا والعصر
 في الحلم معن في المكارم حاتم * في الرأي قيس في الشجاعة عنتر
 لازال منصور على أعدائه * طول الزمان وبالمقاصد يظفر
 ثم صاحب العفة والمهابة والفخر الجلي * سمي المرتضى حيدر قدسه
 على * له هم بين الاقران عليه * وما أثر باهرة سنيته * سيأتي ذكره
 مع الوزراء وهو ناظر المال به * ولقد قلت فيه هذه الايات * مع

قراري بقصوري عن حصر ما اتصف به من حسن الصفات
 حاز المكارم والمحامد حيدر * وجمدح حضرته اللسان بقصر
 الماجد المفضل والسند الذي * كل القلوب له تميل وتشكر
 هذا الذي باهى الانام ومن له * في أمة الاسلام فضل يذكر
 بطل تذل له الاسود وتختشى * سطوانه كل القروم وتحذر
 واذا تفاخرت الكرام وجدتها * في بابه السامى الذرى ستصغر
 ثم جناب خليل باشا الامير الجليل * والحاذاق الفطن النبيل
 هو الانام صديق و خليل * وليس له في الاقران من مثيل
 يستوى عنده الحقير والجليل * ذوالماثر الحميدة الجميلة * الخائر
 لكل مكرمة وفضيلة * وهو وكيل الداخلية الجليلة * ادام الله
 أيامه * ورفع مجده ومقامه * شعر

فاق الامجد بالكمال خليل * فله بحق المدح والتبجيل
 هذا وكيل الداخلية من غدا * بين الورى سامى المقام جليل
 ذوهمة علوية وعزيمة * لو صدمت جبال الكاديميل
 ولا تنس داود باشا خرا الورى * ولا تذكر ما قد جرى * فهو لاء وبقى
 اخوتهم الاناضل * حازوا بقرابتهم لحضرة الخلدو كل الفضائل
 وما غاب عن هذا الديار * من أرباب الشرف والفخار * منهم
 صاحب الفضل العجم * والخلق الجميل الكريم * جناب محمد باشا

عبد الحليم * ثم باقى أنجال جناب اسماعيل باشا الخديو السابق
الذى شاعت فضائلهم فى المقارب والمشارك * وهم الأمير حسين
وابراهيم وعلى وفؤاد وحسن * اصحاب الخلق الجميل والعبث الحميد
الحسن

(الباب العشرون)

فى ذكر امراء الحكومة المصرية * أرباب الكرام والمآثر السنية
أولهم الوزير الشهير * والقمر الباهر المنير * الذى فاق بما أثر
كل أمير ووزير * وسما على الاقران وارتقى رتبة المشير * صاحب
الدولة والاقبال * محمد شريف باشا الهمام المفضل * مناقبه لا
تحصى ولا تعد * وشرف نفسه أشتهر وفاق الحد * وهو معرر باسمته
للنظار وظارته للداخلية * له التصرف العام فى جميع الحكومة
المصرية * اسأل الله ان يحفظه ويقيه * ويريدنى سمع ومعا ليه
ومعا قلت فيه

هذا الشريف الذى الرحمن شرفه * ونحسه بحميل الخلق والشيم
وقد تقرر فى حسن الصفات وقد * فاق الامثال فى حزم وفى همم
وقام فى مصر هذا اليوم منتصباً * للحق والعدل والازمان والكرام
عناية الله ترعاه وتحفظه * مدى الدوام بعز غير منهرم

ومنهم

صاحب رتبة الصديق * وأفضل من تولى نظارة المالية عيسى

التحقيق * سعادة حيدر باشا يكن محبوب جميع المصريين وأكابر
أهل الوطن * تقدم ذكره مع أقارب خديوينا المحترم * حفظه
وصانه باري النعم

ومنهم

الامير المجاهد * مصدر القضاة والمحامد * ذو الرأي السديد
والبطش الشديد * الذي خضع الزمان لامره * وانجحت الاسنة في
مدحه وشكره * البطل الهمام * والشجاع المقدم * الرفيع
المقام * الحامي القطر يوم الصدام * بحد الحسام * صاحب
الهمة العلية * والوصاف الحميدة المرضية * سعادة محمود باشا
سامي ناظر الجهادية البرية والبحرية * وقد تقدم ذكره في الكلام
على جمعية المقاصد الخيرية * وقاه الله شر كل بؤس ورزبه شعر
تسميم بذكر محمود البرايا * على ما فيه من حسن السجايا
أشد الناس في الهجاء بأسا * وأعلى همة وأسدرأيا
إذا شهد القتال وكرت يوما * إذا قعدتوه كأس المنايا

ومنهم

عمدة الاشراف الكرام * وخلاصة الكبراء العظام * من زهت بنور
طلعته الايام * وشمل ازعامه الخاض والعام * فريد العصر
والاوان * ومعدن الفضل والعرفان * الذي تحلى بحسن اوصافه

بطون المدفاتر * وتخضع لهيبة عزه الاسود الكواكب * سعادة محمد
قدري باشا ناظر الحقائق * حفظه وصانه رب البرية * شعر
... مام قدحوى لطفا وطرفا * وفاق الناس في جاه وقدر
وقد شامت فضائله جهارا * كضوء البدر في الافلاك يسرى

ومهم

بدر المعالي * ونفخر الموالي * المحبوب في جميع الاهالي * من انصف
بالقراية * وحسن السياسة * صاحب الهمة العلية * سعادة
مصطفى باشا فهمي ناظر الخارجيه * حفظه الله ووقاه * وزاد في مجده
وعلاه

ومهم

الهام المعارف * بحر المعارف * وكثر الاطائف * صاحب
الاوصاف اليدوية * والمرتبة السامية الرفيعة * سعادة اسمعيل
أيوب باشا * بلغه الله من الخيرات ماشا

ومهم

الهام المكرم * والشجاع المقدم * صاحب المحاسن والاطاف
سعادة زكي باشا ناظر المعارف والوقوف * حفظه الله وبارك فيه
و بلغه ما يتمناه ويرتضيه

ومهم

نفرا لذوات * الحميد الصفات * أئمتي به صاحب الاخلاق الزكية

ورئيس كتاب الحضرة الخديوية * الهمام الموقر المقصم * سعادة طلعت
باشا المكرم * لازالت أنوار انطائه عابقة ساطعة * ولا برحت
تموس عوارفه في قلبك السعادة شارقة طالعه

ومهم

الأمير الخطير * والبدر المنير * ليت المعامع * وقهار المواكب
والطلائع * بسيفه الماضي القاطع * في ساحة الوقائع * الذي ليس
له في الفروسية من منازع * سعادة ذوالفقار باشا تشر يفتاني
الحضرة الخديوية * لازالت أيامه في سرور وفاهية

ومهم

الحسام البتار * والبطل القهار * سامي المجد والفخار * وزينة
الامراء والنظار * الذي شاعت قضائيه في الاقطار * وكرعت
من مهابل صافي جوده العبيد والاحرار * سعادة خيرى باشا
المهر دار حفظه الواحد القهار

ومهم

البطل الهمام * ولبت الصدام * صاحب القدر العلى * سعادة
أحمد باشا الدراملى * لزال بحر وساحفونطا * ويعناية الله
مؤيد المحفوظا

ومهم

فخر الامراء والاعيان * وصاحب الفضل والاحسان * الذي

شاعت أطافه في كل مكان * وله حج بدمج جنابه كل افسان * سعادة
حسين باشا الدرامل حفظه الاله الرحمن

ومنهم

البطل المغوار * والاسد الكرار * صاحب البطش والافتدار
والجاء والاعتبار * الذي اشتهر بالكرم ومحاسن الآثار * وافترفت
به مصر على جميع الاقطار * مصطفى باشا الخزندار * حفظه الاله
الجبار * على مدى الدهور والاعصار

ومنهم

الهام الاكرم * واللبث الضيغم * المحمود بين جميع الاعم * المتصف
بالاستقامة وعلواهم * سعادة محمد توفيق باشا الافخم * حفظه
بارئ النعم

ومنهم

البطل الصمد * ونخبة الامراء الاما جيد * صاحب البطش
الشديد * والرأي السيد * سعادة أحمد باشا رشيد * لازال مقامه
في علو وشريد

ومنهم

الامير الجليل * صاحب الخلق الجميل * والفضل الجزيل * سعادة
ابراهيم باشا خليل * أدام الله رفيع مجده * وزاد في عزه وسعده
وأقر عينه بحمودك نجده * وحملهم في عز واقبال * مدى الايام

والليال

ومنهم

نخبة الامراء الكرام * وزينة الليالي والايام * صاحب الجاه
والاحترام * من يباهى به الدهر * وتفتخر به ديار مصر * الاسد
الغشمشم * وبحر الجود والكرم * الجامع بين شرف السيف والقلم
سعادة على جلال باشا الافخم * نجل المرحوم المبرور * أحمد باشا
المنكلى المشهور * حفظه الاله الغفور * ولا زالت ايامه في عز
وسرور

ومنهم

عمدة الامراء الافاضل * وخلاصة الكبراء الامثال * من اتصف
بعلو الهمة وحسن الدراية * سعادة راغب باشا لزال محروسا بعين
العناية

ومنهم

الهمام المفضل * البليغ المقال * المتحلى بحاسن الخصال * بدر
الديار المصرية * ومحبي العدالة الكسرويه * الذي تعطرت البلاد
من حسن سيرته * وشاعت في الاقطار لطائف حضرته * سعادة
عمر باشا لطفى محافظ الاسكندرية * أطال الله عمره ووقاه كل شر
وبليه

ومنهم

الهمام المحترم * صاحب البند والعلم * وبحر الجود والكرم *
سعادة ابراهيم باشا أدهم * حفظه الله تعالى * وزاده عزاء وفضالا

ومهم

الليث الاروع * والبطل السميدع * قهار الجبارة الغطاريف *
وصاحب القدر السامي المنيف * سعادة علي باشا شريف * لا زال
محروسا بعناية ربه اللطيف

ومهم

ذو القدر الرفيع * والخلق الجميل الوديع * الذي فاق على اقرانه *
بحسن سياسته وقوة جنانه * صاحب الهمة العلية * والممدوح من
جميع البرية * سعادة حسن بك فهمي مدير المنوفية * حفظهم الله
جميعا على مدى الاجيال * معجرو بين بالسعد والتوفيق والاقبال *
وبلوغ المقاصد والامال * واذ قد فرغت الآن * من ذكر
الامراء والاعيان * رأيت أن أذكر المرحوم المبرور * اسم جميل
صديق باشا المشهور * لاني كنت وكيل دولته * ورئيس دائرته *
ليبقى ذكره مخلدا جلا بعد جيل * اذ له على فضل وجميل * فأقول
كان رحمه الله * وجعل الجنة مأواه * وزير المال به * وأحد بدور
المملكة المصرية * وديعا كريما * أديبا فاهيما
لطيفا حليما * ذورا أي وتديرا * وفي أمور الدهر عليم وخبير
بكرم الوافد * ولا يصد قاصد * وكان جناب صاحب هذا التأليف

قد مدحه بقصيدة من الشعر النفيس الطريف * فاستحسنها كل
 الاستحسان * وغمرة بجزيل الانعام والا حسان * فاثبت بعضها
 لحسن معانيها * وعذوبة الفاظها ورقة قوافيها * وأولها قوله
 الدهر يزهر وهو الهنا يتجدد

وفيهما يمنة برفاق نجلة البطل المهاب * وايت الغاب * نخر الادباء
 الانجاب * المتحلي بحلل الكمال والآداب * سعادة مصطفى باشا
 حفظه وصانه رب الارباب * وزاد في عزه ومعالیه * وجعله
 خليفة لاه

مولای اسماعیل یامن قوله * بین البرایا نافذ ومؤید
 قد جاء عبداً قاصداً ومهنثاً * یمدی فروض الواجبات ويحمد
 بقران نجلک مصطفى المولى الذى * هو بين أبر باب المعارف مفرد
 يا حسنهما من فرجة وأجله * يوما هو اليوم الاغر الاسعد
 يوما به شمس الضحى قد قارنت * قمر الدجى فغدا السرور يغرد
 يوما به راق الزمان وزينت * فيه أهالى بر مصر وعبدوا
 شهيم تفرد بالمحاسن والهمها * والانس والطف الذى لا یجحد
 لازال محروس الجناب معظما * ومظلالا بسعادة لا تنفسد
 ویدیم دولتکم على طول المدى * ملاح نجم فى السماء يتوقد
 ومما قلت أنا فى مدح عائلته * وفى سعادة أحمد نشأت بك ابن أخى
 دولته * مهنثا حضرته العلية * بولاية تظارة الدائرة السنية * بلغه

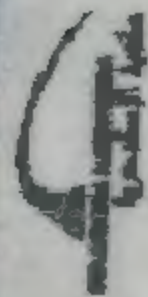
رب البرية * السعادة الابدية
 بشري لكم يا آل صديق الوري * قد نلتهم ورتب المعالي الفاخرة
 جاء تكم العليا وسدتم مكرما * وعلوتمو شرفا بمصر القاهرة
 عاد الفخار لكم بنشأت عزكم * لما رقي نظارة للسدائره
 وسأختم الكلام في هذا الباب * بالثناء على مؤلف هذا الكتاب
 جناب المساجد الكامل * عزتوا سكتدربك الاديب الفاضل
 الذي صرف زمانه بتأليف الكتب والرسائل * ولا سيما في هذا
 التأليف * النفيس الطريف * الذي طالعتهم واياه * وعاونته على
 ما تضمنه وحواه * فان له فيه الذكرا الجميل * والفضل الجزيل
 حيث أودعه من الوقائع الابراهيمية * والمآثر الباهرة السنية
 المتعلقة بالعائلة المحمدية العلوية * في بر مصر وأقطار سوربه
 ما كان محجوبا عن العيان * ومتمروكا في زوايا النسيان * فكشف عن
 وجهها النقاب * وأبانها في هذا الكتاب المستطاب * بأسلوب
 أرق من ماء السحاب * * ينعش القلوب ويطرب الآذان * وتصبو
 اليه نفوس الانس والجان * جزاء الله خيرا * ولا أراه مكروها ولا
 ضيرا * فكم له من مؤلفات مفيدة * ورسائل عديدة * وكنت قد
 رقت على أكثرها * فمن أجودها وأشهرها * كتاب روضة الادب
 في طبقات شعراء العرب * وكتاب نهاية الارب * وكتاب نوادر
 الزمان * في إلاحم جبل لبنان * وكتاب منية النفس * في أشعار

عنتر عيس * وكتاب التحفة الغراء * في محاسن تونس الخضراء
 وكتاب ربحانة الافكار * في اخبار الملك شهر يار * وكتاب
 ديوان الدواوين * في أجود اشعار المتقدمين والمتأخرين * ضمنه
 مختارات الشعر * من فزل ومدح ورتاء وحكم وفخر * وكتاب
 كأس المدامه * في تراكيب الدامه * وهو كتاب غريب * جمع فيه
 الف لعبة من أنواع الالعب والتراكيب * ورتبها على أسلوب
 مدهش عجيب * لم يسبقه عليه أحد في هذا الوضع والترتيب *
 وجعل الكتبها جداولاً يهتدى اليها الطالب من قريب * وكل من
 كان له ميل ورغبة * أو معرفة في أصول هذه اللعبة * وله أيضاً
 ديوان شعر * بين نظم ونثر * وشعره في غاية الرقة والانسياب
 خالياً من الحشو والتكلف وتعقيد الكلام * تكاد تفهمه جماعة
 الأنام * وله في السجع البدا الطولي * وقد تفرّد فيه بهذا المقدار
 حتى انه صار يعتمد من أرباب الطبقة الاولى * ومن كان في شك
 وارتباب * من هذا الشرح والخطاب * فعليه مطالعة كتابه ربحانة
 الافكار * في اخبار الملك شهر يار * الذي اشتهر بين الأنام * في
 هذا العام * وقرطه فحول الشعراء والعلماء الاعلام * فيتضح
 له صدق الكلام * ولا يخفى ذوى الالباب * ما أودعه في هذا
 الكتاب * من نفائس الحكم ونوادر الآداب * التي لا يحصى
 فوائدها الا كل معاند * أو عدو وحاسد * ويكفيه انه قد حاز

بالاستحقاق والاهلية * من دولتنا العلية * وباقي المعالك الاجنبية
 * على عدة نياشين من رتب سنية * مع لقب البكويه * كثر
 الله من أمثاله * وبلغه غاية آماله * وأطال في عمره * وزاد في عزه
 وقدره * والحمد لله رب العالمين * وصلى الله على رسوله محمد وآله
 وعلى آله وصحبه أجمعين * وسلم تسليما الى يوم الدين

خاتمة الكتاب *

قال مؤلفه هذا آ خر ما اعتمدت عليه * وأمكنني الوصول بعد الجهد
 اليه * مما شاهدته بعيناني * وثقلتته عن افواه أبناء زمانى * من
 الحوادث المصرية * والفتوحات الشاميه * المتعلقة بالآثر
 الخديويه * وابراهيم باشا صاحب الهمة العلية * ولا يخفى ما كابته
 في نقل اخبارها * وجمعة من وقائعها ومحاسن آثارها * بمعاونة
 جناب الهمام الاوحد * والحسام المهند * الذى لا ينكر فضله ولا
 يحسد * عزتو محمد أفندى مكافى الامجد * فكانت كعروس
 مامئها عروس * وريحانة تتعشش بها القلوب والنفوس * وأنا أسأل
 الاله الرحمن * العفو والاحسان * والمغفرة والرضوان * من السهو
 والنقصان * وعثرة اللسان * انه كريم منان



Bibliotheca Alexandrina



0428263